محمود محمد الناكوع

الدكتور عمرو خليفة النامي

سيرته - مواقفه - أعماله الفكرية والأدبية

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب:
الدكتور عمرو خليفة النامى
سيرته، مواقفه، أعماله الفكرية والأدبية
اسم المؤلف: محمود محمد الناكوع
الطبعة: الثانية.
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.
١٧٦صفحة ١٤ × ٢٠ سم
تاريخ النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٤٦١٨
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-17-4170-5

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher.
No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة لم تضف إلى مادة الطبعة الأولى إلا أشياء قليلة جداً أهمها فصل بعنوان: [هكذا تحدث هؤلاء عن عمرو النامى] وفيه مختارات من مجموعة من الرسائل التى كانت تصله من عدد كبير من الأصدقاء عندما كان أستاذاً زائراً بالولايات المتحدة وجميع تلك الرسائل تعبر عن قيمة وأهمية الدكتور عمرو النامى لدى ذلك العدد الكبير من الأصدقاء من داخل ليبيا ومن خارجها، وهى أهمية علمية أدبية اجتماعية.

وإذا كانت الظروف لا تسمح الآن بالحصول على جميع مراسلاته ونشرها فإن المستقبل لابد أن يتيح لى أو لغيرى من الكتاب والمهتمين بسيرة وأعمال عمرو النامى فرصاً جديدة لجمع ما يمكن جمعه، ونشر ما يمكن أن يستفاد منه كما لا يفوتنى الإشارة إلى أن عمرو النامى كان نشطاً ثقافياً أثناء تدريسه فى الجامعة ببنغازى خلال عامى ١٩٧١ و ١٩٧٢، وربما كتب مقالات فى بعض المجلات التى كانت تصدر فى الجامعة، إما باسمه الحقيقى أو باسم أو أسماء مستعارة.

فى هذه الطبعة أيضاً تم تصحيح الأخطاء التى وقعت فى الطبعة الأولى.

كذلك تم إضافة قصيدة [ودعت دارك رغم الشوق للدار] مطبوعة، وكانت قد نشرت فى الطبعة الأولى مخطوطة بيد صاحبها عمرو النامى وقد كتبها أثناء توقفه فى دلهى وهو فى طريقه إلى اليابان عام ١٩٧٩ .

فى ختام هذه المقدمة القصيرة لابد أن أشكر كل الأصدقاء وكل أحباب الدكتور عمرو النامى من عمان شرقا إلى الولايات المتحدة غربا مرورا بالعديد من العواصم والمدن والبلدان العربية والأوربية الذين يتابعون بشغف وحماس ما يكتب عن حياة وأعمال الدكتور عمرو النامى وأشكر بصورة خاصة كل الذين ساعدونى بجهودهم ووقتهم لإنجاز هذا العمل.

والله أسأل أن يوفقنى وغيرى إلى مزيد من العطاء والاهتمام بكل أعمال الأدباء والشعراء والمفكرين من أبناء وبنات ليبيا ماضيا وحاضرا ومستقبلا وأن نقول جميعا: [آن لمغنية الحى أن تطرب] وآن أن نقدر قيمة كل جهد وكل رأس، وكل قلم ينتمى إلى ليبيا الوطن ويعبر عن أشواقه وتطلعاته فى الحرية والعزة والكرامة ولا شك أن أعمال عمرو النامى ومواقفه سوف تظل إحدى المثل السامقة فى سماء ليبيا، وإن اختلفنا معه فى جوانب من آرائه النقدية، وأساليبه الحادة.

لندن صفر ١٤٢٧ هـ

مارس ٢٠٠٦ م

محمود محمد الناكوع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

فى هذا الكتاب مادة أدبية وفكرية جمعتها منذ سنوات عدة بمساعدة بعض أصدقاء الدكتور عمرو خليفة النامى، كان قد أبدعها وكتبها فى ظروف شاقة من عمره العلمى الذى لم يدم طويلا بسبب ما تعرض له من مظالم سياسية، فقد سجن ثلاث مرات، والمرة الأخيرة كانت الأشد قسوة بل كانت السبب فى غيابه عن الأنظار والأسماع، ولم تعلن السلطات الرسمية عنه وعن مصيره أية معلومات لا عن موته واستشهاده ولا عن وجوده داخل أحد السجون الكثيرة. ورغم كل المحاولات من قبل منظمات حقوق الإنسان، وغير ذلك من المحاولات لمعرفة مصيره فلم تفلح أى منها فى التوصل إلى حقيقة ما حدث له منذ غيابه الأخير فى غياهب السجون. وتضاربت المعلومات إلى درجة التناقض الكامل فهناك أخبار وإشاعات تقول إنه مازال حيا فى بعض السجون التى لا يعرفها إلا قلة من أركان السلطة الحاكمة فى البلاد، وهناك تكهنات وتحليلات تقول إنه أعدم منذ أواسط الثمانينيات من القرن الماضى، وتظل حقيقة مصيره غير معروفة إلى حين توضيح

رسمى من قبل السلطات الليبية التى اعتقلته داخل البلاد فى ديسمبر عام ١٩٨١ . ولكل هذه الأسباب والغموض الذى صاحب مصيره تأخر صدور هذا الكتاب إلى هذا التاريخ، رغم أن بعض مادته وخاصة بعض القصائد قد نشرت فى مرات كثيرة. ونظرا لأهمية الدكتور عمرو النامى الإنسان والمفكر، ونظرا لسيرته ومواقفه الفكرية والسياسية فلابد من الاهتمام بأعماله وتراثه باعتباره رمزا من رموز ليبيا، وعلما من أعلامها، فهو أستاذ جامعى كان له دوره المشهود بين طلابه وزملائه فى الجامعة الليبية خلال السنوات القصيرة التى مارس فيها مهنة التعليم الجامعى فى كل من بنغازى وطرابلس، كما أنه كان كاتباً وشاعراً متميزاً فى لغته وأفكاره وعواطفه القوية.... وهو من عشاق الحرية بكل ما تعنيه من قيم إنسانية وسياسية واجتماعية، وهو عنيد فى مواقفه وقناعاته، وشديد الوضوح فيما يريد ويقبل، وما لا يريد ويرفض، ويبدو بوضوح أنه تأثر تأثراً كبيرا بقراءاته ودراساته الأدبية والإسلامية، ففى مادة الأدب والشعر منه بصورة خاصة وجد المعانى والقيم العميقة التى تسجل مواقف العزة والشجاعة والبطولة والفروسية، وفى الإسلام وتاريخة ورجاله قديماً وحديثاً وجد البعد الإيمانى الذى يزكى تلك المعانى والقيم ويحولها إلى ثقافة وسلوك عملى يتجسد فى حياة وحركة وعلاقات. وفى طفولته وشبابه تكون وتربى فى بيئة متدينة، فقد كان والده رحمه الله من العزابة وهم فئة اجتماعية شديدة التدين، كما كان

على علاقة وثيقة بأهل القرآن والتدين فى نالوت من أمثال صهره مسعود قنان، والأستاذ المربى الشيخ على معمر رحمهم الله جميعا، وغيرهم من فضلاء نالوت وكاباو والرحيبات والجبل بصورة عامة، وفى مرحلة متقدمة من شبابه وخاصة بعد إنهاء الدراسات الجامعية كبرت أهميته ومكانته فى الأوساط الليبية، وفى أوساط عربية وإسلامية كثيرة..... ومن مقالاته وقصائده التى ننشرها فى هذا الكتاب، سوف يعرف القراء أي نوع من الرجال كان عمرو النامى، فهو شديد الذكاء، قوى الشخصية، صلب القناعات، وعلى استعداد كامل لتقبل كل المخاطر والمشاق فى سبيل أفكاره ومبادئه ومعتقداته، وعندما فكرت فى عبارة أو بيت من الشعر يعبر عن تلك الشخصية وما عرفت من محن، وجدت فى هذا البيت من الشعر أبلغ وصف لما تنطوى عليه شخصية عمرو النامى معاناة وجلدا وأصالة معدن.

محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى

كالنار مخبرة بفضل العنبر

لقد اعتقل عمرو النامى المرة الأخيرة فى اليوم الحادى عشر أو الثانى عشر من ديسمبر ١٩٨١ فى مسقط رأسه نالوت الواقعة فى أقصى غرب ليبيا حيث اختار أن يقيم هناك قريبا من والديه لرعايتهما حق الرعاية بعد أن بلغا سن الشيخوخة، واختار أيضا أن يعمل لكسب رزقه طبقا لما تسمح به البيئة المحيطة به من أنواع

الكسب ومنها الفلاحة وتربية الأغنام. وكان من المستطاع أن يهرب من نالوت إلى تونس أو إلى الجزائر، ولكنه لم يختر ذلك السبيل لأنه – حسب تقديره – لم يرتكب جريمة تدفع إلى ترك بلاد أجداده وآبائه، وكان دائماً يظن أن ترك الوظيفة ولو كانت بالجامعة ربما يعفيه من الملاحقة بسبب انتمائه السابق إلى جماعة الإخوان المسلمين أو بسبب قناعاته التى لا تقبل الاحتواء ولا الانحناء، أو بسبب ما كتبه من آراء وخاصة مقالته (كلمات للثورة) التى نشرت فى الرابع من نوفمبر ١٩٦٩ بصحيفة (الثورة) الليبية وهى مقالة فريدة من نوعها وسوف يجدها القراء ضمن أعماله الفكرية المنشورة بهذا الكتاب. وهذه المقالة لم يكتب مثلها أحد فى تلك المرحلة من عمر الانقلاب العسكرى وهى تمثل موقفا مبدئيا واضحا، وتتبنى الدعوة إلى إقامة نظام سياسى عادل، يشارك فيه الجميع، وأن يظل الجيش مؤسسة عسكرية لها مهامها فى الدفاع عن الوطن وحدوده لا أن يصبح قوة سياسية تقرب من تشاء وتبعد من تشاء، وهذا ما لم يقبله قادة ذلك الانقلاب.

لقد حاولت السلطات الليبية عن طريق رجالها أن تقنع الدكتور عمرو بالكتابة لصالح سياساتها وأفكارها وبرامجها، وأن تستخدمه كما فعلت مع الكثيرين، لكن عمرو رفض ذلك بشتى الطرق وظل محافظا على نقاء قلمه ونصاعة مواقفه. ورغم أنه لم يكتب ضد النظام – إلا بعض القصائد التى تصنف من أدب السجون – ولم ينتم إلى أي فصيل معارض، ولم يشارك فى أي

تظاهرة ضد النظام، لكنه ظل موضع رصد ومتابعة من سلطات النظام، وتحت شعار من ليس معنا فهو ضدنا جرت ملاحقة ومعاقبة عمرو النامى فسجن وهدم بيته فى نالوت عام ١٩٨٤، ولم يعلن رسمياً عن توجيه أي تهمة له، ولم يحاكم، واختفى عن الأنظار منذ أواسط العقد الثامن من القرن الماضى.

إن مزاج وعواطف وأفكار عمرو النامى ومواقفه تضعه فى صفوف الفرسان. فالفارس عادة لا يكترث بحسابات الخسارة والأرباح، ولا يتوقف كثيراً عند نتائج مواقفه المبدئية كما يفعل الكثرة من السياسيين... الفارس يندفع نحو ما يراه موقفا وعملا ضروريا فى لحظة معينة رغم كل الأخطار ومنها خطر الموت. وأزعم أن عمرو النامى كان من ذلك الطراز الذى لا يهاب الصعوبات ومشاق طريق التضحيات وهو القائل فى أبيات شعرية واضحة التعبير والدلالة:

أماه لا تشعريهم أنهم غلبوا
أماه لا تسمعيهم منك أواه
إنا شمخنا على الطاغوت فى شمم
نحن الرجال وهم يا أم أشباه
نذيقهم من سياط الصبر محنتهم
فلم يروا للذى يرجون معناه
أماه ذلك دربى قد أموت به
فلا يسوؤك كأس قد شربناه

لا تجزعى لفتى إن مات محتسبا
فالموت فى الله أسمى ما تمناه

وهو القائل أيضا:

لا يصنع الأمجاد غير ملابس
للهول يصدع للأمور ويرأب
أو صابر للهول حين حلوله
حتى تزول خطوبه ويغيب
والحر تفجأه الحوادث إن أتت
فيخوض لجتها ولا يتعيب
ويصد شرتها بأنف مشامخ
يسمو بصاحبه ولا يتترب
يأبى الرغام وإن أريد لطخه
شنعاء هب لها فؤاد أغلب
إنى ربيب مكارم أورثتنى
شمما يتيه على العدا لا يغلب
أنا لم أكن يوما صنيعة سيد
يرمى إلى بكسرة فأرحب
يكفى أباك لكى يعيش مكرما
عجفاء ثاغية وتيس أجرب

إن عمرو النامى لا يقول هذا الكلام الشعرى لمجرد التعبير عن مشاعر ومعانى وجدانية طافت بخاطره حين كتب هذه الأبيات، بل إنها تجسد فعلا ما يؤمن به من قيم نضالية، وهو فعلا على استعداد لتحمل كل النتائج المترتبة على قناعاته ومواقفه الشريفة الكبيرة، ولعمرى ذلك أمر لا يقدر عليه إلا قلة من أهل الإيمان والصبر والجلد... إنه فارس المواقف والكلمات.

فى نهاية هذه المقدمة لابد أن أسجل جميل الثناء والتقدير لعدد من أحباب وإخوة وأصدقاء الدكتورعمرو النامى الذين شاركوا بدور مهم فى جمع مادة هذا الكتاب كل حسب ما توفر لديه من قصائد أو مقالات أو رسائل أو صور أو معلومات وذكريات وانطباعات ساعدتنى على الكتابة عن شخصية الدكتور عمرو النامى وما تميزت به من مقومات وصفات وأبعاد، وهم الإخوة: سالم مسعود قنان. على رمضان أبو زعكوك. محمد بن داوود بن يوسف. عاشور الشامس.... فلهم جميعا خالص الشكر والتقدير وجزاهم الله خير الجزاء.

وإذا كان هذا هو أول كتاب من نوعه عن حياة وأكثر أعمال الدكتور عمرو النامى، فإن الكتابة عنه وعن أعماله الأخرى إن وجدت تظل مسئولية كل مهتم بالتاريخ والفكر ورجاله فى ليبيا الحديثة بل وخارج ليبيا... وقد نشرت كل المادة التى وصلت إلي أو حصلت عليها دون نقدها أو التعليق عليها إلا فى حالات قليلة.

محمود محمد الناكوع

لندن مارس ٢٠٠٥

عمرو خليفة النامي
سيرته، ثقافته ومواقفه(*)

عندما أنهى الدكتور عمرو النامي دراسته العليا في جامعة كمبريدج ببريطانيا عام ١٩٧١ ونال درجة الدكتوراه فى الدراسات الإسلامية كان يتطلع إلى مكانة مرموقة فى الجامعة الليبية. وهو تطلع يتناسب مع قدراته العلمية ودراساته وبحوثه الفكرية كما يتناسب مع مواهبه الفنية الأدبية، ورغباته الإصلاحية الاجتماعية. فهو مثقف واسع الاطلاع، متنوع القراءات. وهو أحد الأذكياء اللامعين فى جيله، وقد أهله ذكاؤه إلى التفوق فى الدراسات العربية والأدبية خلال دراسته فى كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية بمدينة بنغازى وحصل على الليسانس بامتياز. وكان أحد الذين اختارتهم الكلية لبعثة دراسية لاستكمال دراسته والعودة إلى جامعته محاضرا وأستاذا بها حيث كانت الجامعة الليبية في ذلك الوقت فى العقد الأول من عمرها الذهبي فهي أول جامعة ليبية افتتحت (١٩٥٥) فى عهد الاستقلال الذي تحقق (١٩٥١) وكان الملك محمد إدريس السنوسي سليل الأسرة الإسلامية الإصلاحية هو أول ملك وآخر

(١) ولد الدكتور عمرو النامي بنالوت عام ١٩٣٩.

ملك اعتلى عرش الحكم في ليبيا هو الذي أهدى قصره المتواضع واسمه قصر المنار ليكون منارة لطلاب الدراسات الجامعية. ومن حسن الحظ ومن حسن السياسة تمكنت الجامعة في عقدي الخمسينيات والستينيات من الاتفاق مع عدد من الأساتذة الجامعيين اللامعين وكلهم من جامعتي القاهرة، والإسكندرية. وكان من بينهم الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، أستاذ الأدب العربي الحديث وهو شخصية مميزة مثيرة، مميزة بتمسكها بكثير من التقاليد بما في ذلك (طربوشه) الذي تفرد بلبسه دون غيره من الأساتذة الجامعيين، وهو مثير بأسلوبه النقدي الذي عرف به في محاضراته وفي كتبه وخاصة كتابه (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. جزءان). إضافة إلى كتبه الأخرى مثل (في وكر الهدامين) (الإسلام والحضارة الغربية) (حصوننا مهددة) كان الدكتور محمد محمد حسين رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في تلك السنوات، وكان شديد الإعجاب بذكاء تلميذه عمرو النامي فاهتم به وشجعه على المضي في طريقه والدراسة حتى يصبح يوما ما أستاذاً جامعياً. وجمعت بين الأستاذ وتلميذه رابطة التدين والاهتمام بالفكر الإسلامي وضرورة حضوره في مناهج التعليم والتفكير وفي الحياة بصورة عامة. ولم يكن أستاذنا الدكتور محمد محمد حسين محاضراً أكاديمياً فقط بل مربيا ويتوقد حماسا وعملا من أجل نهضة الأمة الإسلامية ومواجهة تيارات التغريب ومحاولات إضعاف أو إهمال اللغة العربية والآداب العربية

وهي مفاتيح فهم القرآن ومفاتيح التفاعل مع التراث العربي والإسلامي..... ومن الصدف أن قسم اللغة العربية في تلك السنوات (١٩٥٨ – ١٩٦٢) جمع بين ثلاثة من الطلاب الأذكياء وهم: عمرو النامي، ومصطفى الهنقاري، وصادق النيهوم. وفي حين جمعت الصدفة بينهم في الدراسة وفي قسم اللغة العربية، فقد كان لكل واحد منهم شخصيته الثقافية، وسلوكه الاجتماعي، ومواقفه إزاء ما يدور حوله من أحداث وصراعات وتطورات في داخل ليبيا وخارجها. وتباعدت بينهم الآراء والمعايير والمواقف وانعكست على أعمالهم الأدبية والنقدية، والتى سنشير إليها فيما بعد، وبالتحديد بين عمرو النامي وصادق النيهوم..... فى عام ١٩٦٢ أكمل عمرو النامي تعليمه في ليبيا، وبدأ يستعد لمرحلة الدراسات العليا، وتوجه في بداية الأمر نحو مصر، وبينما كان في تلك المرحلة في بداية مشوار الماجستير وقعت أحداث ١٩٦٥ وهي أحداث الاعتقالات التي شملت عدداً كبيراً من الشخصيات القيادية والفكرية جماعة (الإخوان المسلمون) ومن بين الذين اعتقلوا محمد قطب وسيد قطب. وكان عمرو النامي قد زار محمد قطب وسيد قطب مرات عدة في فترات متقاربة قبل الاعتقال وتأثر عمرو النامي بمواقف سيد قطب وعمق إيمانه ووضوح تصوراته وأفكاره في قضايا العقيدة وفي قضايا الثقافة العامة وأبعادها الإقليمية والدولية. وخشي عمرو أن تمتد إليه يد الاعتقال فترك مصر وترك شأن الدراسات العليا بها

وعاد إلى ليبيا، واستطاع أن يقنع إدارة الجامعة بتغيير مكان الدراسة من مصر إلى بريطانيا، وكان مدير الجامعة في ذلك الوقت المرحوم الأستاذ مصطفى بعيو الذي قدر ظروف النامي وتعاطف معه ووافق على إجراءات التغيير.

في بريطانيا، وفي جامعة كمبريدج المشهورة قضى عمرو النامي قرابة خمس سنوات كان حصادها التعليمي درجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية، أما حصادها العام فثقافة واسعة، وتجربة حضارية، وعلاقات متنوعة مع أهل العلم والفكر ورواد الحركات الإسلامية من مختلف الأجناس واللغات والقارات.

وفيما كان عمرو النامي في غربته تلك من أجل العلم والدراسة، كان يتابع أخبار الوطن، وما يجري فيه من تفاعلات ثقافية وسياسية، وظل يرصد بعض ما تنشره الصحف الليبية من مقالات فكرية وأدبية أو ما تنشره من شعر، ولا يفوته أن يقيمها، وأن يعبر عن رأيه بشأن اتجاهاتها وما تعكسه من دلالات لا يرضى عن بعضها.

في تلك السنوات كنت أنا صحفيا أعمل بصحيفة (العلم) التي تصدر من طرابلس العاصمة وكنت أكتب بها عادة عمودا يوميا تحت عنوان (أضواء) إضافة إلى أعمال صحافية أخرى. ونظرا لعلاقة الصداقة بيني وبين عمرو النامي والتي توطدت في مرحلة الدراسة الجامعية، ونظرا لاهتماماتنا بالفكر والثقافة،

وحواراتنا في هذا المجال كلما التقينا، فقد اتفقنا على أن يكتب مقالات تنشر فى صحيفة العلم. وكان ذلك في عقد الستينيات والذي يمكن وصفه بأنه العقد الذهبي للصحافة الليبية، وحرية التعبير على صفحاتها، سواء ما كان منها ناطقا باسم الدولة أو ما كان يعرف بالصحف المستقلة وهذه الأخيرة تتلقى دعما من الحكومة يجعلها قادرة على الحياة والاستمرار مع التمتع بقدر واسع من هامش الحرية... وفعلاً كتب عمرو من كمبريدج عدة مقالات نشرت بصحيفة العلم ما بين عامي ١٩٦٨ - ١٩٦٩، وكانت مادة هذه المقالات تدور حول نقد الحضارة الغربية وموقفها من الإسلام والعالم الإسلامي، وحول نماذج من الشعر الليبي ونماذج من النثر الليبي واختار لتلك المقالات عنوانا ثابتا: (فصول من الجد الهازل) وعكست تلك المقالات نقداً ساخراً ولاذعاً لبعض الإنتاج الشعري الحديث في ليبيا والذي انفلت من موازين الشعر العربي ومن أساليب وأذواق الشعر بصورة عامة كما انفلت من ثقافة وقيم وصور البيئة العربية الإسلامية، وكثرت فيه على حد إشارات النامي: (النواقيس) و(الصلبان) وأشياء أخرى، وأرجع ذلك إلى تأثر الشباب الليبى بقراءاته لمجلات مثل الطليعة والكاتب والآداب وجميعها كانت تصدر في بيروت وتصل إلى الأسواق الليبية.

أما المقالات الأخرى التي أثارت دويا هائلا في تلك الأيام فهي المقالات التي كانت تنشر تحت عنوان (رمز أم غمز في القرآن)

وجاءت رداً على مقالات لصادق النيهوم التي نشرها في صحيفة الحقيقة التى كانت تصدر في مدينة بنغازي، ونشر بعضها الآخر في صحيفة الرائد، وكانت عن (الرمز في القرآن) ومن أكثرها جدلا مقالته (أي الصادق) التي كانت بعنوان (إلى متى يظل المسيح بدون أب) حيث أحدثت ردود أفعال في عدة دوائر دينية وصحافية وأدبية.

ومن بين ردود تلك الأفعال ما كتبه عمرو النامي ونشر بصحيفة (العلم) بتاريخ ١٨/٤/١٩٦٩ وفيها يقول النامي: (ولولا أنني أعرف صادق النيهوم جيداً لكتبت غير هذا الأمر، فأنا أعرف الصادق شخصيا لا ينطلق من أسس واضحة فيما يفعل أو يكتب، وهو يصنع ذلك استجابة لما يقرأ أو ما يطرأ عليه من أحوال تكتنف حياته التي لا يحكمها تصور واضح للحياة، أو سلوك ثابت محدود. ولذلك فعندما نشر بعض فصوله عن الرمز فى القرآن، حسبت ذلك على ما قدمته من أحواله وقلت نوبة ستمضي بما جاءت، وهو شيء غير ذي قيمة في الواقع لا من ناحية الجهد والدراسة والبحث العلمي السليم، ولا من حيث آثاره ونتائجه). وكشف النامي أن ما يردده النيهوم قد سبقه إليه فكر ينسب إلى الحركة الباطنية!. ولعله من المناسب الإشارة إلى أن صادق النيهوم نشر عدة مقالات في مجلة (الناقد) التي كانت تصدر بلندن منذ أواخر الثمانينيات وحتى التسعينيات وأعاد

فيها نفس الأسلوب ونفس العناوين الاستفزازية وما يصدر عنه من آراء بشأن قضايا الفكر الإسلامي.....

ويبدو أن أجواء كمبريدج الأكاديمية والثقافية العامة وأجواء الديمقراطية البريطانية وحرية التفكير والتعبير قد أشاعت الاطمئنان والارتياح عند الدكتور عمرو النامي، فعندما وقع التغيير السياسي في ليبيا في ١/٩/١٩٦٩ على أيدي ضباط صغار في الجيش الليبي، وانتهى النظام الملكي، وحل محله النظام الجمهوري كتب مقالة بعنوان: (كلمات للثورة) – تجدها في مكان آخر من هذا الكتاب – نشرت بصحيفة الثورة في ٤/١١/١٩٦٩ . أي بعد نحو شهرين من حدث التغيير. وضع فيها مبررات الثورة، ومهمة الجيش، ووصفها بأنها مهمة استثنائية وضرورية ومحدودة، يعقبها تسليم السلطة إلى الشعب، وهو الذي يختار أسلوب حياته السياسي والاجتماعي في الفترة القادمة. وتناولت المقالة الاتجاهات السياسية القائمة في البلاد في ذلك الوقت ورتبها في الشكل الآتي:

١ – القوميون العرب. ٢ – البعثيون.

٣ – الناصريون. ٤ – الشيوعيون.

٥ – الإسلاميون.

ووصفها بأنها تجمعات عقائدية وقال: (فغالب الظن أنها لن تتخلي عن اتجاهاتها القائمة بل إنها ستستمر في ارتباطها بهذه

الاتجاهات والدعوة إليها، ونحن نعتقد بأن لها جميعا حقا كاملا فى اعتناق أفكارها وعرضها في نطاق الأخلاق العامة للشعب، بعيدا عن التراشق بالتهم والكذب والإرجاف..... ويجب أن تتاح الفرصة الكاملة لهذه التجمعات للتعبير عن أفكارها وعرضها بكل الصور المشروعة التي تختارها. كما يجب الاستفادة من خبرات هذه الفئات جميعا على النطاق الفردي في الجهاز الإداري للدولة مع تجنب تمكين أي فئة من كل المراكز الحيوية التي تجعلها تستغل مرافق الدولة في سبيل أهدافها الخاصة) كما تحدث في مقالته تلك عن الثورة والإسلام، وأكد أن الإسلام هو الأصل وهو الأساس في إحداث الإصلاح المنشود في ليبيا. فلا توجد في ليبيا عقيدة غير عقيدة الإسلام. في صيف ١٩٧١ حزم الدكتور عمرو النامي كتبه وأمتعته وعاد إلى وطنه ليبيا ليحقق حلمه وليقف على منابر الفكر والعلم أستاذاً جامعياً وناقداً وشاعراً. لكن بدل أن تفتح أمامه أبواب هذه المنابر، استقبلته مراكز الشرطة، وغرف التحقيق، ومنها إلى المعتقل. وجاء أول اعتقال كإنذار وتحذير ولم تستغرق مدته أكثر من بضعة أيام، واستأنف حياته العادية وبدأ نشاطه في الجامعة الليبية في بنغازي ثم انتقل إلى طرابلس، وظل فى عمله بالجامعة حتى أبريل عام ١٩٧٣ وبرز خلال سنوات التدريس بأسلوبه الجذاب وأصبحت محاضراته وخاصة عندما كان بكلية التربية بجامعة طرابلس تستقطب العدد الأكبر من الطلاب من طلبة مادته ومن غيرهم من الطلاب بينما بعض المدرسين كانوا

يشكون من قلة حضور طلابهم. وفي أبريل عام ١٩٧٣ اعتقل مع مئات من أهل الفكر والرأي وأصحاب التوجهات السياسية، بعضهم من الشيوخ وكثير منهم من الشباب، وكنت أنا من بين المعتقلين، وقضيت أنا وعمرو النامي قرابة العامين في السجن المركزي بطرابلس دون صدور حكم قضائي بتهمة الانتماء إلى تنظيم لجماعة الإخوان المسلمين. ولم تكن تهمة صحيحة في ذلك الوقت ولكنها اعتمدت على تقارير استخبارية كتبت في العهد الملكي واعتبرها النظام الجمهوري كافية للاعتقال وبعد تأكده من حقيقة الأمر تم الإفراج عنا بقرار سياسي. وهنا يجب أن نتوقف لتوضيح أمر مهم وهو أن جماعة الإخوان في ليبيا كانت في عقد الستينيات تياراً ثقافياً تربويا أكثر منها تنظيما عقائديا سياسيا، وكان تياراً مؤثراً وفاعلاً يتخذ من المساجد والمدارس الثانوية والصحافة منابر لنشر المفاهيم الإسلامية الحديثة ذات الأبعاد السياسية وخاصة في مواجهة بقايا الاستعمار والقواعد العسكرية، كما قامت بعض مظاهر الفساد الإداري والمالي والذى رغم أنه كان محدوداً فقد كنا نراه كبيرا ومرفوضا... وفور الإفراج عنا طلبت الاستخبارات من عمرو النامي بصورة خاصة أن يغادر البلاد وأن يختار منفاه في اليابان أو أمريكا اللاتينية أو أفريقيا وأن يدعو هناك إلى الإسلام، وجاءت هذه الإجراءات تنفيذا لخطاب للعقيد معمر القذافي ألقاه أمام الاتحاد الاشتراكي وأشار فيه إلى مسألة إبعاد بعض القيادات الإسلامية إلى خارج البلاد بعد

الإفراج عنهم، ثم انتهت الاتصالات إلى أن يكون المنفى الأول للنامي الولايات المتحدة حيث قام بتدريس اللغة العربية وموضوعات إسلامية في جامعة ومتشجن ولكنه مل الغربة وعاد إلى البلاد، إلا أن السلطات لم تسمح له بالبقاء في ليبيا وطلبت منه أن يسافر إلى اليابان، ففعل ذلك وهو مكره عام ١٩٧٩ وفي تلك الظروف عبر عن حالته النفسية وعن حزنه لفراق الأهل والوطن وقال في إحدى قصائده:

ودعت دارك رغم الشوق للدار
والدار ذات أحاديث وأخبار
يا دار أمسيت بالأحزان غامرة
تهدى همومك من دار إلى دار
نفس الفداء لأرض عشت محنتها
ثم ارتحلت وحيدا غير مختار
مبدد الحول لا زاد ولا أمل
إلا علالات أفكار وأشعار
أنّى ارتحلت فإن القلب يعطفني
إلى الأحبة في شوق وإصرار

* * *

بالأمس كنت عـرين المجـد يا وطني

وتدرج الفـضل في سـهل وأوعـار

رفـعت ألوية للفـخـر عـاليـة

وصـــغت آثار مـــجـــد أي آثار

وأمـهـرت أرضك الأبطال من دمـهـا

تســـخـــر به بين أنجـاد وأغـوار

واليـوم لا شيء غـيـر الحـزن يـا وطني

وغـــيـــر أنات أطيـــار لأطيـــار

لأنه شـديد الحب لوطنه ولأهله ولمرابع طفـولتـه وشـبـابه وذكرياته لم يطق حياة الاغتراب، وغلبته جاذبية الوطن، فعاد إلى ليبيا قبل أن يدور العام دورته. وقرر أن يهجر العلم والتدريس وأن يترك المدن الكبيرة، وأن يتحول من مهنة التدريس إلى مهنة رعي الأغنام لعل ذلك يجعل سدا بينه وبين «منكرات السياسة».. وكان جادا فى هذا الاتجاه، واشترى قطيعا من الأغنام، وذهب إلى ظاهر «نالوت» مسقط رأسه، ومقر أسرته وأهله. وفى قصيدة فى هذا الموضوع يقول:

يكفى أباك لكي يعـيـش مكرّمـا

عـجـفـاء ثاغـيـة وتيس أجـرب

ونعـــيش في قنن الجـــبـــال تظلنا
ويحـيطنا بـالحـفظ قـفـر سـبـسب
جـيـــرانـنا وحش الفـــلاة فـــلا ترى
فـيـهـا ســوى سـبع يسـيح وثعلب
وهناك لا نـخـشى سوى ذئب الغـضـا
يعـــدو على تلك الشـــيـــاه فـينهب
والوحش وحش لا يـلام لـبـطـشـــــه
هو في طبـيـعـتـه يغـيـر ويغـضب
فلقـد نعـيش هنـاك عـيـشـة هانيء
ولقـد يسـالمنا الشـجـاع المرعب

لم يتـمكن هذا الشاعـر، وهذا الأستاذ الجامعي من تحقيق أمنيته، ومن إنجاز مشروعه ويعيش به حراً عزيزاً كريماً كما أراد، وكـما تطلعت نفسه التواقة إلى تلك المعاني والقيم الإنسانية الكبيرة. وفوجئ مرة ثالثة عام ١٩٨١ بالاستخبارات تقوده إلى المعتقلات في طرابلس. ومنذ أواسط الثمانينيات انقطعت أخباره عن أهله وعن أصدقائه فاختفى قسرا ولا يعرف مصيره حتى الآن.

عـرفت عـمـرو النامي يوم كنا في مـرحلة الدراسـة الإعـدادية والثـانوية بمدينة غريان عـاصـمـة مـحـافظة الجبل الغـربي في ذلك الوقت. وجـمـعت بيننا مرحلة الدراسة الجامعية في بنغازي في

أوائل الستينيات في مدينة بنغازي. وتوثقت علاقتنا في عدة اتجاهات فكرية وسياسية وكنا بعض قيادات التيار الإسلامي المتأثر بمدرسة (الإخوان المسلمون) وعشنا محنة السجن معا في عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٤. بطرابلس وطوال تلك الفترة عرفت فيه الذكاء الحاد، والإيمان العميق، والشفافية الوجدانية، كما عرفت فيه صفات الشجاعة وصلابة الموقف. والرجل فعلا كان يريد أن يعتني بوالديه وأن يترك السياسة ومآسيها، وكان يدرك تماما الأبعاد الدولية للصراع في المنطقة. ولكن يبدو أنه لم يفهم من قبل الأجهزة الأمنية أو من قبل القيادة السياسية في البلاد كما أنه يبدو أيضا أن عمرو النامي لم يفهم المدى الذى يمكن أن تذهب فيه السلطة للتعامل معه باعتباره رمزاً فكرياً مرموقاً فإما أن يكون مع السلطة وإما سيصنف معاديا لها. وسواء كانت هذه أو تلك فقد دفع ثمن حسن نواياه. كما دفع نفس الثمن كثيرون آخرون من خيرة أبناء الشعب الليبي. ولو كانت السلطات الليبية تتصرف بمنطق المؤسسات والقوانين العادلة والأعراف الاجتماعية الأصيلة والنظر البعيد لما عاملته معاملة المتهم، ولما اتخذت منه موقف المطاردة والملاحقة والاعتقال ثم الاختفاء القسري، خاصة بعد أن اختار العيش في عزلة مع شويهاته في أرض ليبيا الواسعة، ولكن يبدو أن ليبيا صارت ضيقة على النامي وأمثاله:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذه خطرات فى سيرة رجل ارتبط بالفكر والثقافة، وكانت له مواقفه الصارمة التى لا تقبل الاحتواء، وإن قبلت الانزواء في وديان وشعاب نالوت.

من أعماله رسالة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية وكتاب (ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية) الذي كتبه في السجن المركزي (١٩٧٣/١٩٧٤) وصدرت طبعته الأولى عن الدار السلفية بالكويت دون أن تحمل الطبعة سنة الطباعة والغالب أنه صدر في أواسط السبعينيات. كما كتب عشرات القصائد خلال فترات سجنه..... وشاءت الأقدار أن يغيب عن مسرح الحياة الفكرية والثقافية قبل أن ينجز الكثير من أعماله ويحقق بعض طموحاته ومشروعاته بالمساهمة في تطور الحياة الفكرية والأدبية في ليبيا أولاً وفي العالم الإسلامي ثانياً، بل شاءت الأقدار أن يغيب عن الأنظار والأسماع ولا أحد يعلم مصيره إلا السلطات الليبية التي ظلت ترفض إعطاء أية معلومات عن مصيره. وبغياب عمرو النامي عن ميدان التعليم والفكر والأدب فقدت ليبيا شخصية إسلامية فذة... فذة في مواقفها الصلبة التي لا تتزحزح عن معتقداتها ومبادئها ولا تنحنى إلا أمام الله خالق الأنفاس وقابض الأرواح.... فذة في فكرها وأسلوبها وانفعالها وتفاعلها مع أحداث وطنها وأمتها، وكان عمرو النامي شديد الاعتداد بنفسه وذكائه وثقافته، ومع هذه الصفات يتمتع عمرو النامي بعلاقات اجتماعية حميمة مع كثير من الناس من مختلف الأجيال

ومن مختلف المناطق والأوطان، كما أنه يتمتع بإحساس عاطفى مرهف وبتذوق رفيع للشعر والغناء والموسيقى، ومن أحب أصوات الطرب لديه صوت فيروز . . . وظل عمرو النامي مثل أستاذه محمد محمد حسين شديد الاهتمام باللغة العربية ونحوها وآدابها ومدافعا عليها باعتبارها لغة القرآن، كما ظل شخصية إسلامية الآفاق والتصورات وهو ما تعكسه مقالاته وقصائده التي تشكل مادة هذا الكتاب، وقد رتبتها حسب تسلسل تاريخ نشرها بالصحف الليبية أو حسب تاريخها الانتهاء من كتابتها بالنسبة للقصائد بالذات. فهذه القصائد بعض مخطوطاتها تحمل في الهامش تاريخ إبداعها، أما بعضها الآخر فلا يشير إلى زمانها ولا إلى مكانها، ولكن أغلب الظن أن معظمها كتبت في المعتقلات، وتؤرخ لما كان يعانيه الشاعر في تلك المعتقلات كما تؤرخ لمرحلة سياسية واجتماعية عاصرها عمرو النامي واكتوى بنارها مرات عدة، فجاءت كلماته وقصائده متفجرة من أعماق القلب والوجدان لتجعله فارساً فى خطابه السياسي والأدبي . .

* * *

(*) هذه المقالة نشرتها أصلا بمجلة (العالم) فى عددها الصادر بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٩٣ والتي كانت تصدر بلندن . . ثم راجعتها وأضفت إليها بعض الفقرات . (المؤلف) .

مقـالات
مهر الحضارة الغربية

لو تخيلت الحضارة غادة حسناء قد تعرض لها الخطاب كل يريد أن يرجع بها إلى داره فماذا كنت تمهر تلك الحسناء البارعة الجمال؟

وإذا كانت المخطوبة هي الحضارة الغربية فهل يغالي أهلها في مهرها وهل يبلغون به حد المستحيل والشطط؟ ولكن دعنا، أخي القارئ، من التساؤل والافتراض، فالمهر الذي طلبه القوم قد صرح به أحدهم منذ وقت بعيد. وذلك ما قاله المستر ويليم جيفورد بالكراف. قال المستر الهالك:

متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا عندئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لا يبعده عنها إلا محمد وكتابه.

وذلك ما يشترط القوم، وهي كلمة قد لفها الزمن منذ مدة، ولكنها كلمة يجب أن يتدبر كل مسلم كل حرف فيها، وهي كلمة كفيلة كذلك أن تفتح أمام أعيننا مغاليق أسرار الصراع الدائم الدائب بين الإسلام وخصوم الإسلام.

وهي كلمة حقيقة بأن ترجع الكثير من أبنائنا إلى صوابهم في كثير من أفكارهم وأطوارهم. ونحن هنا سوف نشير إلى رؤوس مواضيع لبعض مظاهر ذلك الصراع من وراء ستار تلك الكلمات...

فأولا – إن الحقيقة التي تركزت في أذهان أعداء الإسلام بعد خبرة طويلة بشؤونه، ودراسة متعمقة صابرة لأموره، وهي أن سر قوة هذه الأمة وترابطها وتوائقها وانتظام أواصر الأخوة الكاملة بين أجزائها، هو الإسلام... وإن جماع أمر الإسلام وأصل منهاجه ودستور نظامه هو القرآن، وأن عليهم أولا لتفتيت هذه القوة، وزعزعة هذا الجدار، أن يقضوا على هذا الكتاب. ولذلك فإن مخطط النسف الشامل الكامل لأمة الإسلام كما يحدده هذا الخبيث ومقاله يستدعي أولا أن يتوارى القرآن عن أهله...

وقد سلك أعداؤنا سبلهم إلى هذا الأمر بعد ما بذلوا جهدا للتعرف على كتاب هذا الدين ولغته وأدبه وفكره وحضارته.

والمطلعون على بواطن الأمور يعرفون تلك الجهود الجبارة التي بذلتها أجهزة الاستشراق والاستعمار في دراسة الأدب العربي واللغة العربية والثقافية الإسلامية، ويعرفون الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل نشر التراث العربي وبعثه والتنقيب عنه وإزالة الغبار عن كنوزه. والعاقلون يعرفون كذلك أن كل ذلك لم يتم لأن الغرب كان يفتش عن دين ليعتنقه أو لغة ليلتزمها أو أدب يقتبس منه. ولكن كل ذلك يتم ليتعمق الأعداء في معرفة هذه

الأمة التي يتربصون بها الدوائر، ويعدون العدة لاستئصال شأفتها والقضاء على حضارتها وتدمير وجودها ومسخ وجهها الإسلامي الأصيل.

وقد بذلت أجهزة الصليبية والصهيونية الكثير من الجهود للحيلولة بين المسلمين وقرآنهم بما أتيح لهم من فرصة للسيطرة العسكرية والسياسة على هذه البلاد في فترات الاحتلال والانتداب على السواء. وكانت لتلك الجهود مظاهر عدة يستطيع الإنسان أن ينبه إلى بعضها. على أن أخطر طريق سلكه هؤلاء هو تحميل آلة الهدم لمن يسهل عليهم ذلك ولا يستنكر منهم الأمر في عنف سافر أو عداء ظاهر. وكان أن حملوا آلة الهدم لأسماء مسلمة، وظهرت بين المسلمين أصوات تدعي أسطورة القرآن وتشكك في حقائق الوحي وترجع ذلك إلى غير مصدره العلوي الجليل، مدعية تحكيم العلم والعقل وما إلى ذلك من ادعاءات مختلفة إنما هدفها هو التشكيك في القرآن الكريم وزعزعة عقيدة الإسلام في قلوب المسلمين بعد ذلك.

لقد برز هذا الصوت عند المستشرقين أول ما برز على اختلاف في اللهجات وأساليب وطرائق العرض. وأخذ مسلك الدس أحيانا والتصريح أحيانا أخرى. ثم حمل طه حسين، وهو صاحب اسم إسلامي، راية الهدم فأحسن حملها ومضى بها كما يريد أسياده فكان – كما يريدون – أكثر جرأة وجسارة. وخرج على الناس بكتابه (في الشعر الجاهلي) الذي كان يلقيه

محاضرات على طلبة كلية الآداب في الجامعة المصرية حينذاك. وفي نطاق حديثه عن الوضع في الشعر الجاهلي قرر أن كثيراً من حقائق القرآن موضوعة أيضاً... وكان ذلك أشد ما تعرض له القرآن من محاولة الطعن في قداسته وصحة نصه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد أثار ضجة كبيرة دافع فيها المسلمون عن كتابهم وتركوا لنا إنتاجا رائعا مما تفتقت به قرائح أدباء الإسلام وصرت به أقلامهم. وكان الفتى المبرز فى حلبة ذلك الصراع هو أديب العربية المعاصر ومنشئها الفذ المنافح الصوال عن تراثها الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله. فقد كان – جزاه الله عن الإسلام كل خير – أمة وحده فى ذلك الصراع الصاخب. وأنا أحب أن أوصى شبابنا المثقف بقراءة جميع كتبه ومتابعة ذلك والاستمرار عليه حتى يألفوا بيان العربية الأصيل وتسيغ أذواقهم أسلوبها الرفيع كما جلاه الرافعى فى سلاسة وقوة...

وأشد من ذلك ما استطاع أن ينفذ به الاستعمار إلى المناهج التعليمية فاستحدث أساليب قللت من محصول الطلبة من القرآن الكريم وأنقصت من حصص الدين وحصرت اللغة في دراسات شكلية محدودة. فكان حظ الأجيال المتعاقبة من نصوص دينهم وقرآنهم ولغتهم وأدبهم وما يشكل ثقافتهم المتميزة محدودا ضيئلا. وكان من حججهم المتهافتة أن ذاكرة التلميذ الصغير تنوء بكل ذلك العبء الثقيل، ويحتجون بان حفظ النص دون فهمه ضرب من الضياع والعبث، وقصدهم تفويت الفرصة الذهبية على

هذا الكتاب ولغته حتى ينشأ الجيل بمعزل عنهما. والجميع يعلمون أن استخدام أى آلة يعين على صقلها وتنميتها وأول هذه الآلات الذاكرة... وأن مخزونها الذى يتحصل عليه التلميذ فى فترة لم تكتمل فيها مداركه العقلية بعد هو الرصيد الذى تعمل فيه هذه المدارة مستقبلا حيث تكون فترات الدراسة التالية مجالات لشرحها وإيضاحها. وكم يكون موقف الطالب ممتاز عندما يجد ذاكرته تمده بذلك الرصيد المدخر فى فترة نضجه العقلى واكتماله الفكرى. وتستغرب أن هؤلاء الذين يبكون إشفاقا على ذاكرة الطفل المسلم لأنه يؤخذ بحفظ قرآنه، كيف لا يتكلمون عن أطفالهم الذين تلوى عظامهم الطرية الصغيرة لتعليمهم رقصات البالية!!

ومظهر آخر من مظاهر هذا الصراع، وقد كان أشد خطراً وأبعد أثراً وأكثر خبثاً، تمثل هذا المظهر فى حركة نشطة أضمرها أعداء الأمة وعملاؤهم كان هدفها قطع صلة حاضر هذه الأمة بماضيها وقطع لغتنا من أصلها حتى نفقد ذلك الرباط الذى يصلنا بثروتنا الفكرية والثقافية، والتى كان مدارها وقطبها فى أيام ازدهارها هو كتاب الله.. وأخذت هذه الحملة المسعورة سبيلين رئيسيين قصد أحدهما إلى الحرف العربى فادعى قصوره وتعقيده وعدم إيفائه بحاجة الكتبة والمؤلفين، وتعددت الاقتراحات باختراع حروف جديدة للغة العربية. وأذكر أن أثر هذه الشطحة قد وصل إلى صحف طرابلس، ووجد هنا على ما أذكر من أسهم باختراعه

فى هذا المضمار والذى انتهي بدون شك إلى سلة المهملات. بل بلغ الأمر أن اقترح بعضهم باستبدال الحرف العربى الشريف بالحرف اللاتينى. ومن أشهر أصحاب هذه الدعوة فى البلاد العربية المدعو سعيد عقل وقد أصدر كتابا طبعه بالحرف اللاتينى فعلا.

وطال الأخذ والرد فى هذا الأمر وأدلى الجميع بدلائلهم فعادت فارغة والحمد لله. وواضح أن القصد من هذه الدعوة الهدامة وخلاصته أن يجيء يوم ننسى فيه الحرف العربى ويحجب كل ميراثنا الكريم الغزير الذى كتب وطبع به عن الأجيال التى تجهله فتنقطع صلتنا بالقرآن وتراث السلف. وقد سارعت مخططات الأعداء إلى تنفيذ هذه الخطة فى تركيا وآل أمر المسلمين فى تركيا إلى الحال التى تعيشها اليوم بعيدة عن نتاجها الضخم الغزير فى ميدان الفكر الإسلامى، وأعجب بهذه الدعوة الخبيثة الهدامة.

والسبب الثانى لهذه الحركة هو ذلك التحامل الشديد على أسلوب النحو والقواعد اللغوية للغة العربية. فقد اشتد النص على الأسلوب الذى اتخذه السلف لضبط قواعد لغتهم وتحديد أساليبها وصبها فى قواعد ثابتة محدودة. وسرت دعوة عالية صاخبة تندد بالكتب الصفراء وبالأسلوب العقيم والمنهج الفاسد – على حد زعمهم – الذى سلكه السلف رحمهم الله من فطاحل النحاة واللغة، بل ووجد من دعا إلى نحو جديد، ومن كتب نحوا جديدا.

وكانت نتيجة ذلك هذه العقدة السخيفة التى تركزت عند متعلمينا من دراسة النحو، وخصوصا فى المدارس (المدنية!!). فما تكاد تجد اليوم من يتقن هذا العلم، لا بل لا تكاد تجد شاديا يحسن أولياته فضلا عن من يتعمق أسراره ما عدا من قرأه فى معاهد الدين واللغة على الأسلوب القديم الذى تنهج الجامعة الإسلامية نهجه اليوم. وكان نتيجة ذلك أن نشأت أجيال لا تحسن تذوقا للنص العربى ولا فهما له لما غاب عنها من إدراك لعلاقات الكلمات بعضها ببعض، ولما غمض عنها من تبين تراكيب الأساليب التى يدرك علمها بامتلاك (النحو) على النحو الذى وضعه أسلافنا واصطلحوا عليه، وأثبتت تجربة دوامه لمدة ثلاثة عشر قرنا صلاحه واستقامته ونفعه. ورحم الله من وصف النحو بأنه علم نضج واحترق. وهنا قد أفلح أعداؤنا فى الهدم إلى حد بعيد.

وإلى جانب هاتين الصورتين برزت دعوة أخرى ذات نهج رهيب وهى الدعوة إلى العامية. وبدلا من أن ترفع العامة إلى لغة القرآن الذى يحيينا بهديه ونوره صرنا نهبط إلى مستوى السوقة نتلطف شهواتهم ونستلطف عواطفهم ونتذلل لعقليتهم بحجة الأدب للشعب والفكر للشعب. وواضح خطر هذه الدعوة الشعوبية التى اعتبرها أخطر معاول الهدم لوحدة هذه الأمة وأشدها تأثيرا فى إلهائها وإضلالها عن الحق الذى نزل الله إليها على نبيه العربى الكريم. وللتوسع فى معرفة أخطار هذه الدعوة

وآثارها أرجو من القارئ الرجوع إلى رسالة الدكتوراه التى كتبتها الدكتورة الفاضلة نفوسه زكريا بعنوان (الدعوة إلى العامية) .

هذه بعض الوسائل التى ركز الدعوة إليها قوم أعداء الإسلام، وحملها بعدهم بعض ممن يتسمون بأسمائنا ويتزينون بأزيائنا ويوالون أعداءنا . وهى رؤوس أقلام يجد القارئ ما يشفى غلته حولها من مصادرها المتعمقة التى يجدها فى آخر هذا المقال . وهذه كلها بعض مظاهر التنفيذ للمخطط الذى حددته تلك الكلمة السالفة أعنى كلمة اللورد التالف مستر (وليام جيفورد بالكراف) التى تدعو فى شطرها الأول إلى أن يتوارى القرآن عن بلاد العرب ليتدرج العربى على زعمه فى سبيل الحضارة الغربية . . وتلك هى الدفعة الأولى من المهر المطلوب فلننظر فى بقية الدفعات فى الحلقة التالية . (يتبع) .

* * *

(*) صحيفة العلم ٢٨ / ١٠ / ١٩٦٨

ملاحظة : لم نتمكن من الحصول على بقية هذا الموضوع إما إنه لم ينشر أصلا أو إنه نشر ولم نحصل على العدد الذى نشر به .

فصول من الجد الهازل

توابع الزوابع
(صورة خيالية)

قال ابن شهيد : وقد رأيت فى قطعة وجدتها فى مخلفات أحد الشعراء المفلقين من أهل عصرنا كتب على ظاهرها: هذا من علم المستقبل، وختم عليه بخطه هكذا: لو حدثت الناس بهذا لرمونى بالجنون، ولو علم الناس ما علمته من ذلك واعتبروه لاحتاطوا لحالهم...

قال ابن شهيد : فأخذنى - والله - العجب من ذلك، وعالجت الختم ففكته.. وقرأت الكتاب فإذا فيه عجبا. وقد كتمت روايته فى مجالسى التى أمليت فيها (رسالة الزوابع والتوابع) وإنما كانت غايتى أن أتحف الناس بطرائف الأدب ونوادر الشعر. ولما كان ما وجدته أدخل فى علم الغيب والتنجيم.. فقد رأيت أن الإفصاح بما فيه رجم من الرجم، وربما أدخل الخلط على الناس بما فيه. وهذا وديعة الزمن ربما جاء وقته من بعد... فحسن حفظه وكتمانه الآن. وأستحلف امرأ وقع إليه هذا الكتاب بكل

ما يعرف من إيمان ألا يسخر منه ومما فيه. فقد عرفت على صاحبه كل سيمات الصلاح والورع، وهو ربما ساح السياحات الطويلة يختلى فيها بنفسه، ويخلص فيها المناجاة لله. وقد أجلس إليه الساعات الطويلة فما أظفر منه بطائل. وربما انطلق فهو كالبحر الزاخر يضطرب عبابه. فألقط من فيه الدر من كل لون وصنف. فرحمة الله على أبى سعيد الأندلسى لقد كان شيخا كريما جوادا قانتا صالحا.

قلت وقد كان من حسن الحظ أن عثرت على ورقات قديمة مخطوطة تحتوى على قطعة من ذلك الكتاب الذى أخبر عن ابن الشهيد، فعجبت مما ورد فيه أشد العجب، ورأيت أن أتحف به قراء (العلم) لما فيه من فائدة. وإليكم نص الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم. قال أبو سعيد الأندلسى كان الله له، بعد التوكل على الله، واللجوء إليه فى الحول والطول، وصلى الله على أفصح خلقه، محمد النبى العربى الأمين، رسول رب العالمين إلى الجن والإنس أجمعين. أما بعد،

لقد جمعتنى سياحة من سياحاتى بشيخ صالح من شيوخ الجن، كان يالفنى وآلفه، ونتعاون على شؤون الخلوة والسياحة. وكان ورعا تقيا ممن أسلم وحسن إسلامه. وقد حدثنى أنه كان صاحبا للبيد بن ربيعة، وأنه قد ألهمه بعض شعره، وقد رويت عن معلقته، وقرأتها عليه. وهو حافظ للقرآن قد هجر الشعر فما يتيسر له منه إلا حكمة أو دعاء.

قال سعيد: وقد شاقنى مرة أن أعرف من أحوال إخواننا الجن، وهم ممن ستر الله أمرهم علينا فما ينكشف لنا من حالهم إلا قليل. فناجتنى نفسى أن أسأل صديقى الشيخ الصالح لعله يتحفنى بأثارة من علم ذلك، أو طرف منه.

وسألت الشيخ فوجدته برما بذلك، ولولا الود الذى أحكمنا عراه لاعتراه من أجل ذلك تغير فى شأنه معى. ولكن تبسط وتهلل وقال:

وماذا تريد إلى ذلك يا أبا سعيد؟ ولك فى خاصة نفسك وإصلاح شأنك ما يشغلك بقية عمرك، وما بقى منه غير ظمأ حمار. وإنما حقيقة الدنيا كلها فيما تقدمه بين يديك من عمل صالح، ولو حزت علم الإنس والجن، والماضى والحاضر والآتى، فنلت الغاية فى كل ذلك لما كان فيه غنى عن عمل صالح تقصد به وجه الله تعالى وتطلب به رضاه، بنية خالصة، وورع وصدق، وإيمان وإحسان.

ولك يطوى الزمن من صحائف هذا الخلق من إنس وجن، فكأنهم ما ساروا على الأرض ولا درجوا بها... وهذه ديارهم خاوية كأن لم تكن عامرة بهم يضربون فيها ويروحون ويغدون. وقد شهدت بين مولدى ويومى هذا شؤون الدهر وتصاريفه وأعاجيبه ما تشيب لو حدثتك ببعضه يا أبا سعيد.

قلت: يرحمك الله، وإنما قد قص الله من أخبار الأمم الخالية

ما ساقه عبرة لمن بعدهم. وفى قصص القرآن عبر لا تنفد، وزاد لا ينقطع. ولكننى أحببت حديثك لينشطنى لما فى القرآن، وأنا امرؤ شاعر أطرب للطريف من القول وأرتاح له وتنفتح له نفسى...

قال الشيخ: وأنت تريد من ذلك حديث الشعر، ويحك، أما قرأت فى كتاب ربك قوله الكريم «والشعراء يتبعهم الغاوون»...؟

قلت. بلى، إننى لعلى ذكر من ذلك عندما أردت حديث الشعر لأحترز من الغى، وإنما يحذر المرء عيبه الذى يخشاه من نفسه، ثم له أن يستقصى ما بعد ذلك...

فضحك الشيخ حتى أحسست لفح أنفاسه تلسع وجهى. وأبرقت عيناه برقا لامعا خفيفا، وقال: يا أبا سعيد، إن الغى فى شعر اليوم لقليل، وإن الغى فى شعر الأمس أقل من ذلك، وإنما قصارى أمرهم أن ينطق أحدهم كذب القول وزوره، أو يفحش على أحد ببذاء يقذع فيه، أو يتزيد فى قوله بما تزينه له شياطيننا. ومع هذا فقد كانت الحكمة ترد على ألسنتهم فتخلد مع الناس. فكيف بك لو رأيت «شعراء آخر الزمان» أو سمعت بعضا من قولهم؟

قلت: وهل لك علم من آخر الزمان؟ لقد أخبر نبى الله ﷺ بعلامات الساعة، وبعض حال الناس فى آخر الزمان، ولكننى

لا أعرف حديثا صحيحا ولا موضوعا عرض فيه لذكر «شعراء آخر الزمان»، فهل أنبأتنى ببعض ذلك يرحمك الله؟

قال صديقى الشيخ: إنما يكون ذلك بعد دهور كثيرة. وذلك أن أسلافنا من شيوخ الجن قد أخبرونا أنه يكون منا شعراء من جيل آخر الزمان، يلقون وساوسهم إلى شعراء الإنس كما نعقل فى كل زمان وقد جعلوا وقته علامة شر يعم الخلق ويستفحل فيهم، ويستضعف المسلمون ويكثر فيهم الزيغ والإلحاد والنفاق، وتنتزع منهم قبلتهم الأولى، ويبتلون بكل بلية. وقد وصف أشياخنا ذلك الجيل منا أنهم من بنى الأصفر وبنى الأحمر، من أفخاذ «ماو» و «لينون». قال ابن الشهيد: هكذا وجدت هذه الأسماء، ولم أعلم ما هى. (انتهى من الهامش) رجع... وهم خلق يعم فيهم الكفر بالله والإلحاد فيه سبحانه، وتجمعهم كراهية وحقد على الإسلام، ويبلغون من أسباب القوة مبلغا عظيما، ويحاولون غزو بلاد المسلمين واحتوائها فيعجزهم ذلك. وذلك لأنه تكون قد غلبت على بلاد المسلمين أمم الكفر قبلهم فصارعوها وأخرجوها من غالب ديارهم، وحذروا من كل أسباب التسلط والغلب الظاهر. وكذلك فإن وقتهم وقت هول وصراع متصل فيما بينهم على كفرهم. وهم يصلون من العلم بقوانين الأشياء إلى غاية تجعل أطراف الأرض فى متناولهم، ويتكلم أحدهم فى الصين فيسمعه ويراه الشخص الجالس فى مجلسنا هذا يا أبا سعيد. وتكون لهم صنعة هائلة فى السلاح يخشون يقتلوا

بهـا، وإلا أهلكت كل شيء، ودمـرت عليـهم الأرض، ونسـفت الجبال فجعلتها كالعهن، وأحالت البحار سعيرا متقدا ولهبا مضطرما...

فساقهم عقلهم إلى ابتداع أساليب وطرائق للغزو مما يتجنب معـه سلاح الفتك والقتل وجعلوا الكلام والرأى والفكر مطية غرضهم، والشعر أحد تلك المطايا. ولما كان هؤلاء أعجاما لا يفقهون كلام العرب ولا يقيمون لغتهم، فإنه يستعصى عليهم قول الشعر على النسق المعروف المألوف، ولن يستقيم لأحدهم شطر بيت ولو قضى بياض نهار من أجل سواده.

وقد خبرت ذرية إبليس – عليه وعليهم اللعنة – من سبل الكيد ما يقودهم إلى ابتداع لون جديد من «الشعر» يسهل القول فيه على كل غاد ورائح، فيقولونه ويوسوسون به إلى «شعراء آخر الزمان» من مسلمى الإنس...

وأنت تعرف أن من فضائل الشعر الذى عدها له شيخكم أبو بحر أن الرجل يقول الشعر البارد الثقيل الذى يكون سبة على قائله، فما يسكن حتى يفشيه ويذيعه فرحا به... وهكذا يذيع شعراء آخر الزمان منكم ما يحسبونه شعرا، ولو قرأ ذلك على الناس اليوم لأصابهم منه دوار وغثيان. ولو سمعه شيخكم أبو بحر الجاحظ لطارت عيناه من وجهه..

قلت: يرحمك الله، لقد علمنا شيوخنا أن الشعراء أربعة،

وقالوا عن الذى جاء فى ذيل القائمة: وشاعر لا تستحى أن تصفعه.

ولقد هولت على بخبر شعراء آخر الزمان، فاين هم من ذلك التصنيف يا ترى؟

قال صديقى الجنى: هم يأتون بعد ذلك بمراحل كثيرة، وأحسبنى سمعت فيهم من بعض أشياخنا وصفا لهم فى أرجوزة طويلة أنسيتها الآن فما أذكر منها غير قوله:

وشاعر ترمى به وتصفعه

وشاعر تلقى عليه بردعه

فشعرهم «مردغة» مستبشعة

أوصاله مبتورة مقطعه

يؤذيك من القول حين تسمعه

خلا من المعنى فليس يسعه

وما ترى من ذلك غير أشنعه

فيا لها من محنة مروعه

يلقى بها الشعر الأصيل مصرعه

فليت شعرى من له فيردعه

وقد كنت أحفظ من أخبارهم شيئا كثيرا. ويذكرون أنه سيكون من أساطين ذلك الشعر فاى منكم يذكرون أسماءهم

فمنهم بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وصلاح عبد الصبور، وأسماء أخرى كثيرة. وقد صوروا لنا منهم صورا رأيت بعضا منها. وممن رأيته شخصا قصيرا متطامنا يضع على عينه حلقتين من زجاج ويفرق شعر رأسه ويدير حول عنقه خيطا أسود، يربطه بطريقة غاية فى الدقة والإحكام وهو ما يسميه الناس فى آخر الزمان «فرفلة»...

قلت لصديقى الشيخ: إن أمر هؤلاء لعجب، وأحسبك قد عرفت ما اختاره شيخ المعرة للشعراء الرجاز فى رسالة الغفران. فهو على ما أذكر قد أعطاهم أكواخا فى الأعراف. فليت شعرى ماذا كان يصنع بهؤلاء لو سمع شعرهم وعرف نعتهم؟

قال الشيخ: ما أظنه يحفل بهم، أو يحسب لهم حساباً. ولو فعل لجعلهم فى الدرك الأسفل من النار. فذلك أشبه بحمرتهم. ولعلك تحب أن تسمع بعض شعرهم حتى يكون الأمر أفصح وأوضح...

وهنا انقطعت المخطوطة التى بيدى وقد فقدنا بضياعها فصلا غاية فى الإمتاع، ولو بقى ربما عرفنا منه الشىء الكثير. فرحم الله أبا سعيد الأندلسى وصديقه الشيخ الجنى. وقد رأيت أن أنشئ بعد هذا فصولا أصل بها ما انقطع من كلام تلك المخطوطة. فنحن على علم بكل ذلك الآن، أعنى أننا فى «آخر الزمان».

فصول من الجد الهازل

نواقيس وصلبان... وأشياء أخرى!!

يعتقد النصارى أن المسيح قد صلب، وأنه فعل ذلك ليخلص الناس ويفديهم من خطيئة أبيهم. ولذلك فقد صار الصلب والصليب والمصلوب ثالوثا كذلك الثالوث الآخر يقدسونه ويقدرونه. ودخلت هذه المعانى أدب النصارى وشعرهم، وذلك غير منكر منهم ولا مستغرب فهم نصارى قبل كل شيء.

ولكن المنكر والمستغرب أنه قد جاء البيغاوات من بعد، فقرأوا وتأثروا وظنوا أن هذه الألفاظ من لوازم الشعر التى لا يكتمل شعرهم بدونها. وظنوا أنه إن خلا من كلمات المسيح والصليب والكنيسة والأجراس فقد (الكروية) التى تجعله شهيا مقبولا. وقد سبق إلى الكشف عن هذا المعنى والتنبيه عليه الأستاذ محمود شاكر فى مقالات تتبع فيها الغزو النصرانى الجديد الذى يكبر ناره ذلك الشرلتان المتنطع لويس عوض وحواريه فى صفحة الثقافة فى جريدة الأهرام. وقد تبين أن عصابة الشرلتان أقوى وأمكر، فأغلقت (الرسالة) مجلة الأدب الأصيل ودخل محمود شاكر السجن ومكث فيه أكثر من سنتين بدون جرم

وبدون محاكمة. وكان من فضل الأدب عليه أن محمد محجوب رئيس وزراء السودان كان ممن يتذوقون أدبه ويقدر عليه، فكان واسطة الخير عند من أمر بالإفراج عنه منذ شهر. لقد اختفت مجلة (الرسالة) واختفى الزيات كذلك ولكن صفحة الثقافة ما تزال على حالها، ومدرسة الصلبان ماضية لا تمل ولا تكل ومع مدرسة الصلبان تقف الطليعة والكاتب والآداب البيروتية، والأديب أيضا لتشكل مدرسة (الشباب المثقف) الذى يأخذ بأيدى شعراء الجديد ويبصرهم الطريق ويحذرهم مزالق الخطا. ومن هذه المدرسة التقط الشعراء الجدد تلك التعابير والألفاظ، وجاءت كلمات التضحية والفداء والخلاص والصلب عند عدد غير قليل من شعراء الجديد. ويأبى شعراء الجديد فى ليبيا أن يشذوا عن القاعدة. وبالرغم من أن ليبيا تبعد كثيرا عن لبنان. وكذلك فإنه ليس بيننا قبطى واحد بجنسية ليبية اللهم إلا ما قد يجد فى المستقبل. إلا أن شعراء الجديد عندنا قد حملوا هم أيضا هذه الكلمات ذات إيحاء شعرى خاص يحرصون على إيراده فى أشعارهم، ويلونون به صورهم وخيالاتهم. وجولة سريعة فى شعر بعض هؤلاء تصور مكانة هذه الألفاظ فى أشعارهم وامتزاجها بمشاعرهم. فالشاعر الراحل على الرقيعى يبعثر يومه المصلوب، وتصلبه امرأة همجية على فستان فأعجب به صالبا مصلوبا وهو يقول:

أبعثر يومى المصلوب من مقهى إلى مقهى

ومخدع امرأة همجية العينين تاكلنى

ببطء الليل تاكلنى

وتصلبنى على فستان.... إلخ (قصيدة غربة)

ويزيد على ذلك بأن يصلب الضوء كذلك فيقول:

كالكوى مصلوبة الضوء على صمت الجدار

(قنديل مطفأة)

ولم تنجُ أشواقه من صليبه فذلك ما ذكره فى قصيدته إلى فتاة تونسية يقول فيها:

وأنـــا أصلـــب أشواقى على صـدر طفـولى فى غـيـشـة...

(... وهكذا).

وقبل أن نتركه إلى غيره لابد من الإشارة إلى بعض الصور الأخـرى التى تندرج تحت هذا البـاب مما يصـور التـأثر باللفظ الغـريب وإيحاءاته رغم منافاته لتصوراتنا ونظرتنا، أعنى تصور الناس فى ليبيا بما فى ذلك الشغيلين...

فهو يورد فى رثائه للمرحوم أحمد الشارف قوله:

لا لم تمت أنت (ناقوس) يعذبنا

وهتفة ونداء حارق وفم...

فهو يتخذ الناقوس ودقاته كمنبه وموقظ ومعذب أيضا.

وهو عندما يتحدث عن محارته الخضراء يناجيها بقوله:

عيناك يا محارتى الخضراء صدر

أم عيناك لى (إله)...

أما فى حديثه عن يقظة الكونغولى الذى يغنى لباتريس لومومبا فإنه يقول على لسانه:

صبرتنى مرة بعد هوان العبد ربا... (هكذا دفعة واحدة)

وإذا الشمس على صدرى تصلى

وا رحمة للشمس من شعرائنا الجدد. هذا يجعلها تصلى على الكونغولى، والآخر يجعلها تغتسل فى غرفته والله وحده يعلم ما يدخرون لها بعد ذلك.

فهذه التصورات التى تجعل العبد يصبح ربا بفضل باتريس لومومبا، وتجعل عينى حبيبته إلها يتجه إليه بالعبودية، وتجعل الشمس تصلى على صدر الكونغولى... هذه كلها أشياء جاءت من هنالك.

ولم يفت الشاعر خالد زغبية نصيبه من ذلك فهو يقول فى حديثه عن (سيزيف):

كان الكونغو ينوح، يهطل بالحزن كالديمة...

أواه قد صلب المسيح

وهو يحدثنا كذلك عن (مسيحه) الذى صلب على قضبان السجن رغم شوقه للدنيا:

عبر الآهات المكتومة

باب (مسيحى) يبث شجونه . . .

للدنيا تشتاق عيونه

فى زنزانة كالقبر المظلم والقضبان رباه أمست صلبان

وهو يختم قصيدته تلك بالتأكيد على الفجر المقبل على كونغوه، لأنها مليئة بطلاب الصلب :

فى (كونغويا) ألف مسيح . . .

ألف سيزيف كونغالى

وقد يقول بعض الناس : إن الحديث عن الكونغو لابد أن يسلك ذلك المسلك . فهم بين وثنى ومسيحى وماركسى . ولا ينتظر من الشاعر الذى اختار أن يعبر عن معانى كونغولية أن يعبر عنها خارج نطاق التصورات الوثنية أو المسيحية أو الماركسية . وقد يكون الأمر كذلك حقا . وذلك معناه أن شعراءنا بعدوا بعدا شديدا عن تصورات أمتهم وتفكيرها . فهى ليست على ما نعلم من أهل تلك التصورات السابقة . وكان أجدر بها أن تواسى أحزان الكونغو بشخصيتها الحقيقية حيث يبصر الكونغوليون كثرة المعزين وتعدد ألوانهم . فذلك أجدى لهم من تكرير النسخ الكنغولية أو الماركسية أو الصليبية .

ثم هم بلغوا أن صلبوا الحب كذلك . فخالد زغبية فى كلماته إلى الرقيعى يناجيه هكذا :

يا رفيقى

كنت ملء القلب تشدو فى ودار

حبك المصلوب فى ليل السهار...

أما تلميذ المدرسة العربية الجديدة (النجيب جدا) – أعنى لطفى عبد اللطيف – فإنه لم يفته أن يركض جحش شعره فى هذا المضمار (كان العرب يسمون الرجز حمار الشعر فرأينا أن أنسب شيء بهذا الشعر أن يسمى جحشا، فهو حمار لم يكتمل وإن رأى الأستاذ محمود الناكوع أن يقدم الاقتراح إلى مجامع اللغة فليفعل...).

قلت هو قد جرى فى هذا المضار كذلك وهو يصف الغدير الذى يرمى فيه الحجارة صحبة رفيقة صباه فيخرج علينا بهذه الصورة:

وحلق الماء كموجة صغيرة مغلوبة

كدمعة حزينة مصلوبة...

وهو قد ذهب إلى أبعد من ذلك، وملك من الجرأة ما مكنه من أن يصلب موطن الكنيسة نفسها. واستمع إليه يقول:

فبالآحاد والجماعات شودنا

ومن (جنات حرف الله أطردنا) (؟) وقددنا

كان العام لا يخجل

ويلقى فوق مسجدنا قذارة ثوبه المهمل (هذه المرة الوحيدة التى ورد فيها ذكر المسجد فى الديوان)

وفوق كنيسة مصلوبة الموطن... يحط ربيعه الأجمل

فتأبى تلك أن ترحل

وكما صلب الدمع وموطن الكنيسة فقد صلب اللون أيضا:

الأبرياء صوتهم عذاب وانحناء

ولونهم مصلوب

وهكذا... فهم يصلبون أشواقهم وحبهم ودموعهم وأيامهم ويصلبون الضوء كذلك، وربما الماء والهواء والرياح وكل شيء. وليتهم صلبوا الصليب فأراحونا منه. وهكذا قدر علينا أن نسمع من أبنائنا وأفلاذ أكبادنا. هذا الكلام الهجين الغريب.

وإذا تركنا حديث الصلبان فلابد أن نواجه مشكلة أخرى هى تعدد الآلهة وتلونها عند شعرائنا الجدد. وقد أبصرنا طرفا منها فى شعر محمد إبراهيم زكرى، وأشرنا إلى هذا المعنى فى مقال سابق. وهذا بحث طريف أرجو أن يتاح له الباحث الصابر المتأنى الذى يتتبع هذه البدعة ويرجعها إلى أصولها. ولكن لا بأس من إشارة زيادة على تلك سبقت عن آلهة الشاعر على الرقيعى وهى هناك عين حبيبته. فقد كتب لطفى عبد اللطيف قصيدة طويلة تحت هذا العنوان: (رسالة من حزين إلى آلهته). وقد تحدث عنها

حديثا ضافيا جعل فيه لآلهته معهدا وصاغ لها ركعة أخيرة وقال لها:

إليك يا (معبودتى) رسالة القصيد
فمزقى حروفها لكى يقال قد أحسست بى
ولكن لا تلقى بها لأنها وريد
لأنها أعماق
إلى آلهتى التى لا تعرف الأعماق

ومن شاء حديث معبودته فليطلبه فى الصفحات (١٩ إلى ١٠٢) من أكواخ الصفيح.

أما الشاعر على صدقى عبد القادر المحامى فله حديث طويل طريف مع (ربة المحيط). وقصة هذا الحديث أنه... ولكن لنترك ذلك حتى فصل قادم، فنحن على شوق شديد إلى شعره وكل ما يتعلق به. ولن نؤثره بأقل ذيل فصل. فحتى عندئذ نترك الصلبان والنواقيس والآلهة التى تعيش فى أدمغة شعرائنا الجدد ونشهد أن لا إله إلا الله وألا معبود سواه، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جميع ما جاء به حق من عند ربنا.

(صحيفة العلم – ١٩ مارس ١٩٦٩)

* * *

رمز أم غمز فى القرآن ! (١)

أحب أن أعرض فى هذا الفصل لمسألة سوف تبعدنا عن ميدان الشعر، وإن كان يربطها بالشعر الجديد بعض الظلال والمعانى، أعنى مسألة الرمز. وقد عرفنا الرمز فنا فى التصوير والتعبير يتخذه الشعر الجديد لإخفاء بعض الأفكار وعرضها عرضا غير صحيح يتجنب سخط المجتمع وبطش الحكومات. وقد انتشر هذا الأسلوب فى الشعر الحديث وهو لم يكن معروفا بهذه الصورة فى الشعر العربى القديم لأن العرب فى القديم لا يواجهون أنظمة القهر والبطش بتلك الصورة. فهم لم يعرفوا إلا المواجهة المباشرة للجور والظلم قولا وعملا، لأنهم يعتقدون «أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». ولن يعبر الرمز عن الحق، ولن يبلغ الرمز دعوة صريحة واضحة تواجه فسادا ظاهرا قويا. ومن الامتهان الشديد للحق أن يتدسس بعرضه، بينما يستعلن الباطل قويا فى كل الصور والمظاهر. لذلك لم يعرف أسلوب الرمز بصورته الحديثة فى الماضى، وهم قد عرفوا الكناية والمثل والمجاز ولكن ذلك كان يؤدى عمل الكلمة الصريحة المباشرة بل وأبلغ أحيانا.

وظهور الرمز عند العرب فى الحديث أمر غير مستغرب، فهم

قد ظهرت بينهم كل أعراض التعبير، إن لم تكن نتيجة لظواهر أصيلة فلمجرد التقليد الأعمى.

ولكن المستغرب حقا أن نلبس هذه الأساليب الجديدة فى التعبير للنصوص القديمة التى عبر بها أصحابها عن أفكارهم وآرائهم بما عهدوه من صور التعبير وتعارف عليه الناس حينذاك. أما المستهجن جدا فهو أن نحاول أن نلبس ذلك القرآن الكريم.

ولو أننى لم أعرف الصادق النيهوم جيدا لكتبت غير هذا عن هذا الأمر، فانا أعرف الصادق شخصا لا ينطلق من أسس واضحة فيما يفعل أو يكتب، وهو يصنع استجابة لما يقرأ أو ما يطرأ عليه من أحوال تكتنف حياته التى لا يحكمها تصور واضح للحياة، أو سلوك ثابت محدود. ولذلك فعندما نشر بعض فصوله عن الرمز فى القرآن فى جريدة الحقيقة حسبت ذلك على ما قدمته من أحواله، وقلت توبة ستمضى بما جاءت. وهو شىء غير ذى قيمة فى الواقع لا من ناحية الجهد والدراسة والبحث العلمى السليم، ولا من حيث آثاره ونتائجه. فالناس يقرؤون للصادق عندما يتحدث لهم عن صديقته السائحة الأجنبية التى لا يعجبها أسلوب الليبيين فى المغازلة، ويضحكون من ذلك. ويقرؤون له عندما يترجم لهم رسالة العامل التشيكى سائق الجرار إلى حبيبته يلعن فيها الناس والذباب فى بنغازى. وقد يضحك من ذلك بعضهم أيضا. ولكنهم عندما يبصرون موضوع الرمز فى القرآن فهم يضحكون قبل قراءته.

فالذى يعرف الصادق من قرب يعرف صلته بالقرآن. والذى لا يعرفه يعرف أن مناهج كلية الآداب وقسم اللغة العربية فيها لا تؤهل الطالب فيها لمواجهة مثل هذا البحث دون رعاية أكاديمية أمينة يخضع فيها الباحث لإشراف أحد الدارسين من العلماء المختصين. وهو أمر لم يتيسر للصادق على الأقل فى موضوع الرمز فى القرآن. ولذلك فإن اضطلاع صاحبنا بمثل هذه الدراسة أمر تحفه الكثير من المزالق والمخاطر ولقد رأينا ذلك فى ذلك الخلط والتناقض الذى وقع فيه وهو يتحدث عن دراسته فى جريدة الرائد (العدد ٤٨٦) وهو أمر لا يمكن تلافيه لما أسلفت.

فالمنهج العلمى يقتضى أن نعتبر هذه القضية مجرد فرض. وهذا أيضا يأتى بعد دراسة شاملة فى الموضوع. فقد يكتشف الدارس لهذا الأمر أن الموضوع قد تطرق له من قبل، فيعود إلى تقييمه بالصورة التى درس بها. وإذا رأى أن هناك ما يمكن أن يضاف إلى ذلك فيبدأ فى دراسة شاملة للموضوع فى جميع جوانبه. وفى مثل الموضوع السابق فينبغى أولا استقصاء كتاب الله من أوله إلى آخره، مع دراسة حديث رسول الله عليه السلام فيما يتعلق بأطراف الموضوع، وقراءة كل التفاسير السابقة وكل الدراسات القرآنية فى القديم والحديث، وعند العرب وغيرهم. ثم يستطيع الباحث بعد ذلك أن يؤكد صحة افتراضه ويحدد صوره ومظاهره أو ينتهى إلى استبعاده وإهماله. وهذه جوانب لم تكتمل للصادق وأنا أقول هذا جازما به رغم عدم اطلاعى على كامل

النسخة العربية السيئة الحظ إن بقى منها ما لم ينشر، أو أخواتها الأربع...

أما إنه لو استشار الصادق بعض المتخصصين فى دراسته الأخيرة لوجد أن الباطنية قد سبقوه إلى هذه الدراسة نظريا وتطبيقيا ولأراحه من هذا العناء، ولجنبه موقفه المحرج.

ولنتحدث الآن عن تحقيق محمود الهتكى الذى نشر فى مقابلة مع الصادق النيهوم تكلم فيها هذا الأخير عن أقرب الأعمال إلى نفسه الرمز فى القرآن. وهو الرمز الذى استخدمه الصادق فى محاولة جديدة «يزعم» لتفسير القرآن بما يحققه هذا المنهج من:

(١) مد اللغة الإنسانية البسيطة العاجزة بقدرة الرمز على التعبير.

(٢) إيجاد الطريقة المثلى للتعبير «عن فكرة أكثر تعقيدا» مما تحمل اللغة العادية.

ونحن نبادر إلى إخبار الصادق أن اكتشافه هذا جاء متأخرا عن وقته جدا. فإن القرآن قد نزل بما نزل به من الحق ورعاه رسول الله عليه السلام وأصحابه بما ألفوه من معانى لغتهم وأساليبهم. وعبدوا الله بما أمرهم به على فهمهم ذاك. واعتقدوا كل حقائقه على فهمهم ذاك أيضا. ولحقوا بربهم وهم صفوة عباده مما أكرمهم بصحبة رسوله والهجرة معه ونصرته ومؤازرته. وما نعلم أنهم عرفوا من أمر هذا الرمز شيئا...

ونحن على يقين أن الله تعالى لن يكلفهم غير ما فهموه وكلف رسوله بتبليغه. فهل نراهم عبدوا الله على حق وجهلوا هذا الرمز، أم أن للقرآن دوراً آخر ومعان أخرى غير تلك التى كلف الله بها رسوله وصحبه، وهى مدخرة للهتكى والنيهوم يعلنانها ويبشران بها؟

لقد نزل هذا القرآن على لغة العرب وهو قد أبان عن الدعوة الإلهية ببيان باهر وواضح. ولو نزل بمعميات لم يعوها لأخذوها عليه، ولعدوها من نقائص البيان. وقد كان المشركون ينتهزون مثل تلك الفرص ويتحينونها لتكذيب الرسول والطعن فيما يجيء به من ربه.

وكذلك فإن القضايا التى عرض لها القرآن مما عد من الغيب أو عجز العقل البشرى عن تفسيره، ولم يأت فيه علم توقيفى من الله سبحانه، ولا سمع فيه شيء عن رسول الله ﷺ، فقد درج السلف الصالح من المسلمين على إدخال تلك القضايا فى نطاق الغيبيات التى قد تنكشف لعلم الناس وقد لا تنكشف. ولكن الأصل الأساسى هو أن القرآن هو المهيمن على غيره من وسائل المعرفة والعلم. ونحن لا نتوقع أن يأتى يوم يعتمد فيه المسلمون فى فهم قرآنهم على التلمود اليهودى أو العهدين القديم والجديد المحرفين أو على دراسات آرنولد توينبى ومستشاريه اليهوديين أو ويل ديورانت وسلفه المؤرخ اليهودى يوسيفون، وهو ما فعله أو يحاول أن يفعله معيد فقه اللغة فى هلسنك« «أى صادق

النيهوم». وقد تكلم صاحبنا فى مقابلته تلك فى الموضوعات التالية:

١ – حالة ميلاد المسيح عليه السلام ميلادا طبيعيا ثم بزواج زكريا عليه السلام. وقرر أنه كان للمسيح إخوان وأخوات. أما أدلته على هذا فهى كلها من خارج القرآن قطعا. والذى استشهد به من كتاب الله آيات آل عمران وخرج منها أن القرآن قد نص على أن مريم امرأة قد بلغت الرشد حين كفلها الله زكريا، وهذا ما لا يدل عليه السياق مطلقا. واعتمد على أن كلمة «كفل» تحتمل معنى تزوج. وهذا باطل قطعا، ولا يمكن أن يعتمد فى هذا الصدد. فلم يرد استعمال لكلمة «كفل» بمعنى تزوج. ومن العجيب أن يتخلى القرآن عن استعمال كلمة تزوج فى هذا الموضوع بالذات، ويبدلها بكفل بينما قد درج على إيرادها فى آيات كثيرة تتجاوز سبعين موضعا أو أكثر بلفظ الزوج والتزواج والتزويج صريحا واضحا سواء فى معرض التشريع أو العرض القصصى. بينما استعمل القرآن كلمة كفل بمعنى الرعاية والكفالة والعناية. ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ [طه: ٤٠] وكذلك فى آية أخرى: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص: ١٢] فهى تعنى هنا كفالة طفل رضيع حرم الله عليه المراضع ليرجعه إلى أمه ليطمئن قلبها وهو موسى عليه السلام. ووردت كذلك فى الآية التالية:

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ومعنى أكفلنيها هنا «اجعلها لى وفى ملكى وكفالتى». وهكذا تجد أنه لا معنى مطلقا لذلك التمحك الفاسد الذى يريد أن يفهم من كفل «زوج». وأنا لا أكتب لأن فى المسألة كبير نقاش، ولكن ليرى القارئ مدى الجرأة وسوء الفهم التى يتناول بها هؤلاء كتاب الله تعالى. فهم يبدأون بالتى هى أسوأ ويطالبون أن نجادلهم بالتى هى أحسن. وهذا الذى يردونه ليس جدالا سلح والعياذ بالله. ونحن نعرض للحديث فى هذا الأمر فى سياق الآيات الكريمة التى تعرض لها صاحبنا واتخذها منطلقا لحديثه وهى آيات سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ* ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٣٣ – ٤٧].

وتقول الروايات أن الآيات من سورة آل عمران نزلت فى مناسبة قدوم الوفد من نصارى نجران اليمن ومناظرته للرسول عليه السلام

وسؤاله عن أمور لم ترد فى سورة مريم، وهى سورة مكية وآل عمران مدنية نزلت بعد الهجرة بفترة، بعضهم يؤقتها بعام (الوفود) وهو العام التاسع للهجرة وبعضهم يقدمها على ذلك الوقت. والذى يهمنى الوقوف عنده هو ما يتابع فى هذه الآيات من أمور كلها خارق للعادة، يصور أفضال الله على هذا البيت الكريم الذى أكرمه الله بالاصطفاء والهداية.

وأول هذه الآيات والأفضال ما يذكره الله سبحانه من شأن مريم الطاهرة المصطفاة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. فهذه معجزة أولى لن نطيل الوقوف عندها وينتقل بنا النص إلى تصوير زكريا ترق نفسه وتحن إلى ذرية طيبة من صنف مريم. فيضرع بالدعاء إلى ربه بذلك. وقد وردت صيغة ذلك الدعاء فى الآيات الأولى من سورة مريم كذلك. ويستجيب له ربه الكريم. وكان الأمر معجزة أخرى جعلت زكريا نفسه وهو نبى كريم يعجب من نداء الملائكة الذى يبشره بيحيى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

وهكذا تتوالى المعجزات والأفضال على هذا البيت الكريم. ويطل علينا المشهد الجديد فى الآيات السابقة بالملائكة الكرام يبشرون مريم بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى ابن مريم فتتساءل

فى إشفاق واستغراب: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. وفى سورة مريم قالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فهاتان الآيتان تنصان نصا صريحا على أن بشارة الله لمريم بالمسيح كانت مستغربة من قبلها لأنها لم تتزوج ولم يمسسها بشر ولم تك بغيا، وهى طرق الإنجاب العادية فى أفهام الناس.

وكان الجواب فى الحالتين يذكرها بالحقيقة الكبرى، وهى المقدرة الإلهية على الخلق عندما يشاء كما يشاء: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ و﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

فالآيات فى السورتين تؤكدان أن حمل المسيح عليه السلام كان على غير الطريق المألوف والمعتاد بين البشر، وأنها ستلد ولدا وهى عذراء لم يمسسها بشر لا نكاحا ولا سفاحا: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ و ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

والقضية هنا واضحة ويسوق القرآن الآيات فى سورة مريم بما يدل على هذا المعنى ويؤكده. فهى عندما ألجأها المخاض إلى جذع

النخلة قالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾. وهذه الشكوى الضارعة الأليمة تصور مدى الحيرة والذعر مما ستواجه به قومها الذين يستنكرون هذا الحديث. فكيف تلد من غير أن يكون لها زوج؟ وقد كان ما توقعت: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾. وهذا كله تلميح لما يعتمل فى نفوس القوم من الظنون والشكوك فى مريم البتول التى تأتيهم بولد من غير زوج. وهم يستنكرون منها هذه الفعلة التى لا تكون إلا من بنات آباء السوء وأمهات البغايا. وقد تكلم عيسى فى المهد بما أجلى تلك الشكوك وأزاح تلك الظنون. وليعلن نبوته وطهارة أمه المصطفاة. ولو كان زكريا زوجا لمريم لما جاء كل هذا الاستنكار والاستغراب. ولو كان ذلك كذلك لما كان لكل هذه الآيات معنى. ولكن الله سبحانه لا يترك بتلك الآيات الواضحة الصريحة القاطعة المجال لأى تصور آخر فى القضية كلها. فقد حملت مريم العذراء بالمسيح عليه السلام بأمر الله وإرادته. وكان ذلك بنفخة من روحه سبحانه – هو أعلم بكيفيتها –. وكان المسيح عليه السلام محفوفا بالمعجزات فى حمله وفى كلامه فى المهد وفى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من بعد.

(صحيفة العلم – ١٨ مارس ١٩٦٩)

* * *

رمز أم غمز في القرآن ! (٢)

ومرة أخرى فانا لا أكتب هذا الكلام لأن فى القضية كبير نقاش أو صغير نقاش، ولكننى أكتب هذا للصادق والهتكى ليصححا عقيدتهما ولمن لم تتح له الفرصة الاطلاع على الموضوع ودراسته، وليعلم القارئ مدى جرأة صاحبنا على حقائق القرآن.

أما اليهود فهم يعتقدون أن وراء مولد المسيح بهذه الصورة سرا لا يشرف، وأنه قد حملته سفاحا من يوسف النجار. ونحن نبرأ إلى الله تعالى من قولهم هذا ونستغفر الله من إيراده هنا. فذلك من بهتانهم وقولهم غير الحق. وهم قد كذبوا النبيين وقتلوهم فلا يستكثر منهم هذا الطعن فى القديسة الطاهرة المصطفاة.

أما المسيحيون فقالوا عن المسيح أنه ابن الله – تعالى الله عن ذلك – فوقعوا فى شر آخر. وهكذا جاء القرآن يبين للمسلمين الحق الواضح فى شأن المسيح عيسى ابن مريم: ﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾.

وهكذا يتبين أن ما يريد النيهوم أن يلفقه هراء منكر، وأن كل ما فعله هو أن عدل قليلا فى عقيدة اليهود فى هذه المسألة،

جاء ليزورها على القرآن من غير مستند ولا دليل. فهو يقترح كريا أب لعيسى بدلا من يوسف النجار، ويقترح الزواج بدلا من لسفاح الذى تنص عليه نصوص اليهود وكتبهم التاريخية. وفى سبيل هذا يبطل الآيات الكثيرة الواضحة، ويصادم كتاب الله صورة قبيحة مستهجنة.

٢ – والموضوع الثانى الذى عرض له صاحبنا هو معجزات عيسى عليه السلام التى جاء يفسرها لنا طبقا لأبعاد الرمز (زعم). يقول صاحبنا: أما شفاء الأكمه والأبرص فانا أعتقد أن الرمز هنا للإنسان الأعمى الذى لا يستطيع أن يرى آيات الله فى العالم من حوله...

ولصاحبنا أن يعتقد ما يشاء. ولكن أن يقول إن ذلك من معانى هذه الآية فذلك افتراء محض وفساد فى الفهم. هذه الألفاظ ليست شتائم ولكنها صفة لهذا الذى يصنعه صاحبنا. فقد استعمل القرآن لفظ الأعمى فى أكثر من ثلاثين موضعا للدلالة عن عدم الاهتداء. فذلك قد جاء فى مواقع كثيرة، ولكنه استعمل اللفظ فى مدلوله القريب أعنى العمى الذى هو فقدان البصر فى المواضع التالية: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]. وفى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ

﴿ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ... ﴾ [النور: ٦١] فهاتان تختصان بالتشريع لهذا الصنف من الضعفاء وذوى العاهة. الأولى ترفع الحرج عن أولئك الصنف من العمى والعرج والمرضى فى أمر الخروج إلى الجهاد. والثانية ترفع عنهم الحرج أن ياكلوا من بيوت أقربائهم أو من ياخذهم إليه صديقهم من البيوت التى حددتها الآية. أما الآية الأخرى التى يقول فيها: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ... ﴾ [عبس: ١ - ٢] فهو صحابى معروف اسمه ابن أم مكتوم. ولذلك فإن قول صاحبنا فى مقابلته: هذا يعنى إن كلمة الأعمى وكلمة الموتى تستعملان فى القرآن للرمز إلى أولئك الناس العاجزين عقليا عن الارتباط بالعالم العلوى، قول منفلت وتعميم فاسد لا يصدق على كل موضع فى القرآن خصوصا فى آية معجزة المسيح عليه السلام. أما قول صاحبنا: أما قوله فى أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير.. فالطين رمز للمادة المرتبطة بالأرض، أى للإنسان المرتبط بعالمه المادى، والطير رمز للسمو الروحى. وعيسى المسيح الذى جاء لنقل الإنسان البسيط من عالم التراب والمادة إلى عالم الله الرحب كان فى الواقع يؤدى مهمة أكثر تعقيدا من مجرد صناعة الدمى الطائرة.

أولا: الآية قالت: ﴿ خَلَقَ لَكُم ﴾ وليسي منكم...

ثانيا: من قال للصادق أن المسيح جاء ينقل الإنسان البسيط من عالم التراب والمادة إلى عالم الله الرحب، أو أنه جاء يصنع الدمى الطائرة؟ إنه لا هذا ولا ذاك. هو جاء ليبلغ رسالة الله لهذا الإنسان الذى جعله الله خليفة فى الأرض يعيش فيها ويعبده فيها. وجاء تعبده لله لا لينقله إلى عالم الله الرحب. فهذه كلمة غائمة شديدة الغيمومة لا مضمون لها فى الواقع. كذلك فإن المعجزة التى يخلق فيها المسيح طائرا من الطين فيبث فيه الحياة ليس صناعة دمى طائرة. فذلك ما يصنع اليوم فى مصانع أوروبا الشرقية والغربية.

ولكن كان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصبح طائرا بإذن الله. من تمثال من الطين إلى طائر حقيقى بدم ولحم وريش. وذلك كله آية من الله وبإذن الله. وكذلك إحياء الموتى وإنباء بنى إسرائيل بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم. وليس ذلك كله ما يسره الله من معجزات على يد عيسى عليه السلام، فهناك غيرها. ولا أريد أن أطيل فى هذا أيضا فليس فيه كبير نقاش ولا صغير نقاش. ولكننى أوردت هذا لتصحيح ذلك الكلام الفاسد الذى قد يظن الناس أنه على شيء.

وهو يعتذر اعتذارا قبيحا عن ذلك الذى لف بأن: «ذلك لا يعنى أن الله عجز عن تحقيق المعجزة ولكن يعنى أن الله يحترم العقل الإنسانى ويعطيه فرصته لكى يكتشف طريقته بقدرته

وحدها بعيدا عن عالم المعجزة الغامض . هذا يعنى أن يحترم كبرياء الإنسان ويترك له شرف اكتشاف الحقيقة دون أن يعمد إلى شله بمظاهر المعجزة الخارقة».

يقول السيد صادق لمحمد الهتكى فى خلوة الخزعبلات: «ومرة أخرى أنا مثلك أؤمن بالله، وأنا مثلك أعرف أنه على كل شيء قدير ، ولكنى أريدك أن ترى أن عقولنا لم تخلق لمجرد العبث». (ربما يعنى أبعد من العبث وذلك ما يمكن أن نحمل عليه ما كتب) وتعالوا أحدثكم أنا الآخر من خلوتى فى كمبريدج:

أولا: من أخبر الصادق أن الله سبحانه «يحترم» العقل الإنسانى؟ وما تعنى كلمة الاحترام فى حق الله تعالى؟ وهل هى من الصفات الجائزة عليه سبحانه؟ إن الله تعالى لا يجوز عليه أن يحترم شيئا معينا ولا يحترم غيره. وهو سبحانه خلق الإنسان ليعبده، ولأنه يعلم حاجته إلى الهداية لما يعلمه من خلقه وشأنه، وأنه لا ينال هذه الهداية «بقدرته وحدها» فقد أرسل إليه الرسل. والقضية هنا أن الرسل كلهم عليهم السلام مع كمال عقولهم يعتمدون عقولهم فى رسائلهم التى يبلغونها إلا فى حدود التبليغ وما يتصل به. أما الرسالة فيتلقونها من الله عن طريق الوحى، وهم أمناء على تبليغ ذلك الوحى. ومجرد الوحى من الله تسليم قبوله، تسليم بالمعجزة لأن ذلك يتم خارج نطاق العقل ولابد من

التسليم بذلك لقبول حقيقة النبوة وإلا نكون قد رفضنا هذه الحقيقة من أساسها. ولذلك فإننى أقول لكم من هذه الخلوة التى لم يحضرها الهتكى والنيهوم أن الله لم يحترم عقل الإنسان بذلك المفهوم الذى عرضه صاحبنا مطلقا، وأنه قد أحاطه «بعالم المعجزة» بإرسال الأنبياء وهديهم ومعجزاتهم كذلك.

قال الإمام أبو عمار عبد الكافى فى كتاب الموجز: بعث الله موسى صلى الله على محمد وعلى موسى وعلى جميع المرسلين والغالب على الناس إذ ذاك أمر السحر. وقد فشا فيهم حتى اتخذوه صناعة يوجد عند كبيرهم وعند صغيرهم. وأظهر الله على أيدى موسى عليه السلام من العلامات والشواهد والمعجزات ما دوخ به أمور جميع السحرة، وأعجزهم بالإتيان بمثله، وأعلمهم أنه ليس من جنس ما يأتون به من السحر بوجه ولا سبب من انقلاب العصا حية تسعى وثعبانا مبينا، حتى اشترطت جميع حبالهم وابتلعت جميع عصيهم فذهبت ولم يوجد لها أثر مع ما جاء به من النور إذا هو أخرج يده صارت بيضاء صافية من غير برص ولا سوء. وما كان من رجوع مياههم دما، وما سلط عليهم من الجراد والقمل والضفادع، وفلق البحر حتى صار برا يابسا ونقعا ساطعا فقطعه موسى ومن معه فخرجوا منه سالمين واتبعهم فرعون وجنوده على أثارهم فظلوا فيه غارقين. فى سائر تلك الآيات المشهورة على يد موسى عليه السلام. فتبين

للسحرة عند ذلك أن الذى جاء به موسى ليس من فعلهم ولا من فعل أحد من البشر لمعرفتهم بنهاية السحر ومبلغه. فاتضحت لهم الحجة فآمنوا بموسى وما جاء به، وكفروا بفرعون وما يدعو إليه. فإيمان السحرة حجة على فرعون ومن معه وقطع بمعاذيرهم ومعاذير جميع المبطلين المكذبين للرسالة.

وبعث الله عيسى عليه السلام والغالب على أهل زمانه أمر الطب والتداوى، وبه يفتخرون وفيه يتنافسون. فأتاهم عيسى عليه السلام من عند الله بإحياء الموتى ويبرئ لهم الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه طائرا بإذن الله. فأول ذلك أنه لما كان أبرأ لهم.....

صحيفة العلم – ١ مايو ١٩٦٩

(لم نحصل على بقية هذا المقال وقت إصدار هذه الطبعة)

* * *

كلمات للثورة

تقول العرب فى أمثالها آخر الدواء الكى، وذلك أن آخر ما يلجأ إليه من الدواء هو الكى بالنار لما فيه من الخطورة والألم الشديد، وكان الأسلم ألا يلجأ إليه إلا عندما ينقطع الرجاء من كل صور العلاج الأخرى.. وقد بلغ الحال بأوضاع ليبيا السابقة فى كل جوانبه مبلغا ما كان ليجدى معه غير دواء واحد هو الكى.. وكان واضحا أن الذى يستطيع التطبيب بذلك الدواء هو اليد الحاذقة البارعة التى تضع الجمرة فوق موضع الداء فتحصر ألم الدواء فى منطقة الداء ولا تتجاوزه إلى بقية الجسم.

وقد كان الداء بالنسبة لليبيا هو جهاز الحكم السابق فى أشخاصه وسياسته الداخلية والخارجية. وقد كان ذلك الجهاز فى غالب أفراد القمة العليا مصدر العفونة والفساد يعيش بها وينميها بمن يتصل بهم ويستخلصهم لحمايته والحفاظ عليه. واتخذ ذلك النظام كل الوسائل التى تمنع الأطباء الحاذقين من علاج ذلك الجسم الذى بدأت تنتابه الأمراض وتسرى فيه العدوى، وبدأت ظواهر الفساد تتلمس طريقها إلى أفراد الشعب، وأصبح أمرا مسلما به بين الناس أن يكسب المرء المال بطريق غير مشروع وأصبحت الأمانة غفلة والاستقامة سذاجة والرجولة تهورا

وأصبحت المحسوبية والأثرة حقيقة واقعة... وفى نطاق هذه الصور المتعددة من ألوان الفساد التى بدأت تفرض نفسها بما هيأ لها الحكام السابقون من مناخ مفسد خبيث بدأت أخلاق هذا الشعب الأصلية وقيمه الرفيعة تضعف وتضمحل أو تتقلص فى نفوس الكثير من أبنائه، واقتنع الكثيرون بضرورة مسايرة الفساد والإخلاد إلى الراحة عندما يئسوا من كل أمل فى الصلاح، وأصبح علاج الداء مستحيلا على المستوى الفردى المحدود أو الجهود الضعيفة المحدودة. وكان لابد من اللجوء إلى آخر الدواء لأنه أنجع الدواء... كان لابد من الكى. وهكذا جاءت انتفاضة الجيش ليحسم الداء من جذوره وليضرب رأس الحية فى حزم ودقة بارعين وتنفس الناس الصعداء بعد أن انزاح ذلك الكابوس الثقيل الذى عمل طويلا لحساب أعداء الأمة، وضد أهدافها وآمالها. وإذا كان اللجوء إلى هذا الأسلوب فى الصلاح ضرورة حقيقية فى حالة ليبيا فإنه لابد من التأكيد على حقيقة مهمة هى أن لجوء الإنسان إلى آخر الدواء يعنى استنفاد كل الوسائل الطبيعية وأن استعمال هذا اللون من العلاج هو إجراء استثنائى غير طبيعى ولذلك فإن اللجوء إليه كان بسبب الضرورة القصوى وفى آخر لحظة وهذا ما ينبغى أن يقال فى عملية الإصلاح عن طريق الجيش. إنها عملية ضرورية فرضتها الضرورة ويجب التسليم بها فى حالتها هذه فى النطاق المحدود لآخر الدواء، إنها الجمرة التى تأتى لتحرق جذور الداء ثم تنتهى مهمتها عند ذلك الحد لتعود قضية العلاج

لأصحابها المختصين وفى نطاق الوسائل الطبيعية التى كان الداء يحد فاعليتها قبل استئصاله، وهذا معنى سبق رجال الثورة أنفسهم إلى تأكيده.

إن تجربة الإصلاح عن طريق الجيش قد سبقتنا إليها بلاد كثيرة قريبة وبعيدة ولكنها جميعا بدون استثناء انتهت إلى داء جديد قاتل فى بعض الأحوال وإلى سرطان. لقد حقق الجيش الخطوة الأولى والمهمة من العمليات المتتابعة التى استهلكت طاقات الجيش وأنهكت جسم الأمة ولم يبلغ من أمل الشعب شيئا، ونحن لا نحب لثورتنا أن تعيد نفس الشيء ونحب أن تستفيد من سابقتها فى المنطقة والعاقل من وعظ بغيره.

لقد كانت حركة أول سبتمبر ضرورة بلا شك ولكن يجب أن تكون العملية الأولى والأخيرة وألا تكون منطلقا لعمليات متتابعة لا تنتهى إلا إلى إنهاك الجيش وتدمير الشعب، ولا يمكن تحقيق هذه الغاية إلا بمراعاة الجوانب التالية:

أولا: فى نطاق الجيش، يقوم بالدفاع عن أمن البلاد الخارجى والداخلى ومساعدة الشعب فى فترة انتقالية محدودة على اختيار منهج لحياته السياسية والاجتماعية المستقلة فى جو من الحرية التامة فى الاختيار.

ثانيا: فى نطاق الشعب، يقوم الشعب فى جميع البلاد الليبية وبمختلف فئاته باختيار أسلوب حياته السياسى

والاجتماعى فى الفترة القادمة... لقد حقق الجيش الخطوة الأولى والمهمة فخلص الشعب من كابوس الاستبداد، وبقى الجانب الثانى الذى لا يحققه إلا الشعب بجميع فئاته وبمساعدة الجيش فى المرحلة الانتقالية، وهو قيام الشعب باختيار طريقه الجديد الذى يضمن له حياة حرة كريمة عزيزة تضعه فى مكانه اللائق به فى الوجود الدولى.. وإذا استطاع رجال الثورة تحقيق هذين الهدفين وتأمينهما فى نطاق الجيش والشعب فإنهم يحققون بذلك منقبة من أكرم المناقب وأنبلها فى التاريخ. سوف يضربون مثلا من أروع أمثلة التضحية والإخلاص يكون مفخرة خالدة لهم ولأمتهم التى أنجبتهم. ونحن نرى أن تحقيق هذه الجوانب الأساسية التى تضمن نجاح أهداف الثورة والاستقرار السياسى للأمة لابد أن يسلك فى تقديرنا السبل التالية:

أولا: فى نطاق الجيش، تحقيق وحدة الجيش وإعادة الثقة بين أفراده فقد كان من نتائج الوضع البائد أن تكونت داخل الجيش وحدات وتنظيمات متعددة كانت تعمل لتغيير الوضع السابق. ونحن نعتقد أن أحسن صور التغيير التى يمكن أن نتفق عليها جميعا هى تلك التى تهدف إلى انتزاع سلطة الحكم من الجهاز المستبد وتسليمه إلى الشعب ليقرر هو مصيره باختصاره الحر، ولذلك فإن شرف تحقيق هذا الهدف من قبل تنظيم معين لا يبرر لأصحابه اعتبار التشكيلات الأخرى تشكيلات معادية... ولا يبقى هناك أى مبرر للتوجس السابق من تلك التنظيمات،

ولا ينبغى أن ينشأ أى نوع من التمييز بين عناصر الجيش بسبب ارتباطها السابق بالتشكيلات المختلفة التى كانت تعمل على تغيير الوضع السابق، فهدفها يعتبر منتهيا وبذلك يكون لا مبرر لاستمرار هذه التشكيلات أو التمسك بها. وينبغى أن يكون الأصل الذى ينظر به إلى رجال الجيش على اختلاف تشكيلاتهم هو سعيهم المخلص لتحرير الشعب، ومخاطرتهم بتكوين تلك التنظيمات لتحقيق ذلك الهدف، وعلى ذلك فإن هذه العناصر إذا ارتضت التغيير القائم الآن وقبلت التعاون مع الجيش فى مكانها المناسب يجب أن ييسر لها ذلك وأن تتاح لها الفرص للقيام بواجبها المقدس مع مراعاة فئتين اثنتين من هذه العناصر:

الفئة الأولى: هى العناصر التى كانت تعمل فى نطاق تصورات ومبادئ سياسية معينة وهذه يجب تخييرها بين أمرين.. إما الاستمرار فى العمل بالجيش وترك العمل السياسى العقائدى... أو الاستقالة من الجيش للتفرغ للعمل السياسى فى نطاق الأفكار والمبادئ التى تؤمن بها وتعتنقها. إذ أن من الحقائق التى لا منكرة فيها أن السماح بالنشاط السياسى فى نطاق الجيش يؤدى حتما إلى تفتيت وحدته وإلى إيجاد صراع عنيف ينحرف بالجيش عن هدفه الرئيسى فى المحافظة على أمن الشعب والدفاع عنه.

الفئة الثانية: فهى العناصر التى كانت تعمل على تغيير الوضع السابق لحسابها الخاص والتى بنت ارتباطها بقوى خارجية،

أو أنها تعمل بإيحاء من دول أجنبية فإنه من حين التحقق من وجود أفراد يعملون فى نطاق الجيش على هذا المستوى وبهذه الصورة، وإذا ثبت ذلك بأدلة ملموسة فيمكن محاكمتهم ومعاقبتهم فى نطاق القانون وبالعقوبة اللازمة.

وقبل الانتقال إلى الحديث عن السبيل الثانى لابد من الإشارة إلى حقيقة مهمة هى أن أى فكرة أو نظام يفرض فرضا على أى شعب من الشعوب دون اقتناع غالبيته به لن يكون ذا نفع أو تأثير، وأن محاولة فرضه لا تؤدى إلا إلى تعميق الهوة بين الشعب وبين من يريد فرضه، وأن الذى يعين على نجاح أى نظام وتثبيته ويحقق الخير المرجو منه هو اقتناع الناس به واعتناقهم له عن حماس وطواعية، وصاحب أى فكرة يدرك أن أسلم طريق لتطبيق فكرته ومبدئه هو اقتناع الناس به أولا. وانطلاقا من هذه الحقيقة فإن من الأمور الرئيسية التى يجب أن تنتبه لها ثورتنا هو عدم فرض أى لون من ألوان التصوير على أفراد الشعب، وأن تحرص على حصر عملها فى نطاق محدود لا يتجاوز الإشراف على الفترة الانتقالية التى يمكن فيها الشعب من اختيار طريقه الجديد الذى تجمع عليه فئاته، وأن تكون إجراءات النظام القائم ممثلا فى مجلس الثورة وفى مجلس وزرائه محدودة فى تسيير مرافق الأمة العامة وتخطيط وتنفيذ السياسة الداخلية والخارجية فى النطاق الذى يحقق المطالب العامة لجميع أفراد الشعب، وألا يتجاوز ذلك إلى إجراءات مصيرية فى المجال الدستورى

أو العقائدى مما يمكن أن يؤثر على مستقبل الحياة السياسية والعقائدية للشعب. فذلك مما يجب أن يقرره الشعب وحده وفى نطاق الحرية التامة لكل فئاته فى الاختيار.

ثانيا: فيما يتعلق بالتنظيمات السياسية المدنية توجد فى ليبيا الاتجاهات التالية:

القوميون العرب – البعثيون – الناصريون – الشيوعيون – الإسلاميون.

وبسبب طبيعة هذه التجمعات العقائدية فغالب الظن أنها لن تتخلى عن اتجاهاتها القائمة بل فستستمر فى ارتباطها بهذه الاتجاهات والدعوة إليها، ونحن نعتقد أن لها جميعا حقا كاملا فى اعتناق أفكارها وعرضها فى نطاق الأخلاق العامة للشعب، على أن يكون أسلوب المعارضة والتنافس بعيدا عن التراشق بالتهم والكذب والإرجاف التى يجب أن تعتبر من أقبح الجرائم الاجتماعية وأن يعاقب عليه أصحابه بشدة. ويجب أن تتاح الفرصة الكاملة لهذه التجمعات للتعبير عن أفكارها وعرضها بكل الصور المشروعة التى تختارها، كما يجب الاستفادة من خيرات هذه الفئات جميعا على النطاق الفردى فى الجهاز الإدارى للدولة مع تجنب تمكين أى فئة منها من كل المراكز الحيوية التى تجعلها تستغل مرافق الدولة فى سبيل أهدافها الخاصة.

إضافة إلى تنظيمات الجيش وإلى التنظيمات والاتجاهات

السياسية المدنية التى ذكرناها هناك القاعدة العريضة لفئات الشعب الأخرى مدنيين وعسكريين، الذين يجب أن توفر لهم الفرصة الكاملة لاختيار المنهج الذى يفضلونه فى أقرب فرصة، ويجب أن يتم هذا عن طريق التمثيل الصحيح الحر بواسطة الانتخابات النزيهة، فالشعب وحده هو صاحب الحق فى اختيار ووضع التشريع لكل جديد يستوجبه الصالح العام. ويجب حث الشعب على اتخاذ دوره الإيجابى فى تخطى الفترة الانتقالية فى أقصر فترة ممكنة، حتى تنتهى هذه الفترة بانتخاب جمعية تاسيسية لتقر الدستور الدائم للدولة الذى ينبثق عنه جهاز الحكم الثابت، وهنا لابد من الإشارة إلى نقطة هامة تتعلق بتحقيق حرية الاختيار للشعب وهى ما حدث من اعتماد رجال الثورة لشعارات بعضها هى الحرية والوحدة والاشتراكية. وبالرغم من أن رجال الثورة حاولوا إعطاء تفسيراتهم الخاصة لهذه الشعارات، وبالرغم من إيماننا أن هذه الشعارات قد لحقها التزييف الشديد ممن حملها فى الماضى بصورة مجحفة جعلتها كلمات جوفاء لا تحمل معانيها، فهناك من حمل شعار الحرية وهو أشد الناس خنقا لها، وحمل شعار الوحدة وهو أعتى الناس فى تفريق كيان الشعب الواحد فضلا عن وحدة الأمة كلها، وحمل شعار الاشتراكية فاصبحت الأمة مطية لنفوذ الأجنبى... وكان من ألزم الواجبات إعطاء الصورة الحقيقية لهذه الشعارات... (هنا بعض الجمل غير واضحة فى النسخة المصورة عن الأصل المنشور فى الجريدة).

الثورة والإسلام:

والقضية الأخرى التى يجب الإشارة إليها فى هذه المقالة هى موضع الإسلام من الثورة الجديدة، والإسلام هو دين الشعب الذى يدين به جميع أفراده... مع وجود أقليات يهودية ومسيحية جاءت واستقرت وإن كانت ليست من أصل ليبي، وقد احتضنها تسامح هذا الدين وكرم هذا الشعب وسمح لهم بالاستقرار فى أرضه فكان أن اكتسبوا الجنسية الليبية من بعد. ورغم أن الإسلام يحرم شرعا على غير المسلمين بناء أماكن العبادة فى الأرض الإسلامية إلا أن فرصة كاملة أعطيت لهم، وقامت عدة كنائس بعد الاستقلال وأخواتها التى ارتفعت أيام الاحتلال ولم تهدم واحدة منها أو تحول إلى غير ما وجدت له بالرغم من أنها تعتبر أليمة لنفوس الناس بقيامها، فكاتدرائية بنغازى التى تملأ نظر القادم على العاصمة الليبية من كل الجهات بناها الذين شنقوا عمر المختار ومثلوا بآلاف من النساء والأطفال، وقتلوا الآلاف من صناديد المجاهدين. ولكنها مع ذلك ما تزال تتمتع بموضعها الشامخ الذى يذكر السياح من المسيحيين بأمجادهم، ويذكرنا نحن بأيام من الذلة والهوان. وقل مثل ذلك عن كاتدرائية طرابلس، وبالرغم من أن بعض هذه الكنائس قد استغلت كمراكز للتجسس لحساب إسرائيل إلا أن الإسلام بروحه المتسامحة قد أتاح لهذه الفئات من أتباع الديانات الأخرى حرية الاستعلاء والتجسس والتدين – إن وجد – إلى أبعد حد. وهذه قضية

أخرى لا داعى للإفاضة فيها ونحن نحتاج إلى وجود بعض هذه الكنائس، لأنه ربما تكرم بزيارتنا بعض إخواننا العرب المسيحيين ممن يحرص على إقامة شعائره الدينية فيجد مكانا لائقا شامخا معدا لذلك الغرض... ونعود إلى الحديث عن الإسلام دين هذا الشعب الذى جاهد عنه ضد كل أنواع الاستعباد منذ حملات فرسان القديس يوحنا إلى أن وضع على عرشها أميرا من أسرة حملت لواء الإصلاح الإسلامى فى قسم كبير من البلاد. وإذا قام ذلك الملك – الذى انتهى ملكه لأن الملك لله وحده – بإعطاء فكرة مشوهة عن عدالة الإسلام وكماله وخان الأمانة وتنكر لها، فإن من واجب أبناء هذا الشعب المسلم وفى مقدمتهم رجال الثورة أن يردوا إلى دينهم نصاعته وجماله وحقيقته الأصيلة الكريمة التى حاول تزييفها رجال محسوبون عليه فى العهد السابق.

وقد لمسنا من رجال الثورة حتى الآن فى تصريحاتهم المختلفة تأكيدا على معنى ارتباطهم بالإسلام فى سلوكهم الشخصى وفى قراراتهم التى كان من بينها تحريم الخمر والاتجار به والحرص على تقديم التاريخ الهجرى فى دواوين الدولة والتركيز على اللغة العربية فى الدراسة الابتدائية وتقويتها، والتأكيد على عدالة الثورة وإنسانيتها وبعدها عن روح الانتقام، وتفسير الاشتراكية بأنها اشتراكية إسلامية، وتأكيد رجال الثورة على ارتباطهم بالأخلاق الإسلامية فى سلوكهم مما أعان على نجاح

حركتهم إلى غير ذلك من الملامح التى تشير إلى ارتباط الثورة بحقائق الإسلام واعتزازها بها. وهذا أمر طبيعى، فإن الحرية الحقيقية لهذا الشعب المسلم، والشخصية الحقيقية لهذه الأمة المسلمة لا تتحقق بغير الارتباط بالإسلام الذى حاولت كل القوى الاستعمارية والعميلة طمسه بكل الصور الممكنة. والواجب الأول لهذه الثورة الجديدة هو الانتصار للقيم الإسلامية وإحياء تعاليم الإسلام وشرائعه وشعائره فى جميع جوانب الحياة، وأن أى سير على غير طريق الإسلام هو انحراف عن الخط السليم الذى يجب أن تعود إليه هذه الأمة وأن تلتزم بأحكامه وتعاليمه... وإذا طالبنا بحرية نشاط بقية المبادئ الأخرى المعادية للإسلام أو المنكرة له بالرغم من إيماننا بأنها جميعا ممن اخترعه وأوجده أعداء الإسلام ليشغلوا به أبناء الإسلام عن دينهم الحنيف وليضلوهم عن طريق الإسلام، أقول هذا طالبا بإعطاء حرية النشاط لهؤلاء جميعا فلأن ذلك حق يعطيه لهم الإسلام ما ارتبطوا بالأخلاق العامة للمجتمع وما لم يمدوا أيديهم لأعداء الشعب فى الخارج.

الإسلام فى تاريخه الطويل بعكس كل الأديان والأفكار والمبادئ الأخرى، قد مكن للأفكار المعادية والمعارضة أن تعيش فى حمايته، وفى كثير من أدوار تاريخه وفى كثير من بلاده كان ضحية لهذا التسامح الذى جرأ أعداءه عليه، وذلك أن الإسلام هو دين الله الذى لا يفوته حساب هؤلاء جميعا فى اليوم الآخر وإن أفلتوا الحساب فى الدنيا واستكبروا عن الحق وأعرضوا عنه، وفى هذا الجانب لابد من مراعاة الحقائق التالية:

أولا: إن الأفكار ذات الأصول الأجنبية غريبة عن الإسلام وأمة الإسلام وأنها تعود جميعا إلى أصول يهودية، وأنها وضعت أصلا للقضاء على الأديان، وتفتيت الإمبراطوريات الكبيرة التى كانت تستند فى بنائها إلى العقيدة الدينية، وقد استجلبت هذه الدعوات إلى العالم العربى والبلاد الإسلامية للقضاء على الدين الإسلامى وإضعاف الدولة الإسلامية. جاء دور القومية لتفتيت الجامعة الإسلامية، والفكرة العلمانية لحصر الإسلام فى نطاق العبادات وإقصائه عن ميدان التشريع، حتى يفتح المجال للمنهج الاستعمارى ليحكم حياة الناس وتصوراتهم ويقربهم فى مفاهيمهم عن الحياة ونظمها للمفاهيم التى يعيش بها المستعمر فى الحدود التى يختارها هو حتى لا يصعب عليه استغلال هذه البلاد عند انتهاء فترة الاحتلال العسكرى الكامل والدخول فى مرحلة الاستعمار الاقتصادى. وجاءت الفكرة الشيوعية للقضاء على البقية الباقية من العقيدة الإسلامية وصاحب كل ذلك العمل المتصل فى المنطقة لإقامة دولة إسرائيل التى يعلم أصحابها أنهم لا يمكنهم الاستقرار فى أرض فلسطين إلا على أنقاض العقيدة الإسلامية والدين الإسلامى.

ثانيا: أن هذه الأفكار والمبادئ – التى أشرنا إليها – تقوم أساسا على العداوة الشديدة للإسلام، وأنها كانت فى كل مراحلها وفى كل البلاد التى وجدت فيها وبلغت مراكز القوة والحكم فيها شديدة العداوة للعقيدة الإسلامية وحاربتها بكل

ألوان الحرب وسلطت على عناصرها كل ألوان الاضطهاد، وأن إتاحة الفرصة لها والتمكين لأصحابها يعني إقصاء الإسلام وفسح المجال أمام استبداد مدمر من لون جديد.

ثالثا: الإسلام هو تعاليم الكتاب والسنة كما فسرها وبينها علماء الإسلام من السلف الصالح، وأن المرجع في فهم الإسلام وتفسيره وعرضه هم علماء الإسلام الملتزمون بسمته وتعاليمه وأخلاقه من الورع والفقه والصلاح والتقوى ولا مجال في ذلك لأصحاب الأغراض والأهواء والمضللين والمنافقين.

رابعا: الدعوة للإسلام حق كل مسلم لا تحتكره فئة معينة ولا جماعة معينة، وواجب الدعوة إليه وحمايته والجهاد في سبيل إحيائه وتحكيمه يقع على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله.. ونحن في نطاق هذه المفاهيم نعتقد أن بإمكان الثورة الليبية وأنا لا أحب أن أسميها ثورة أول سبتمبر لأن في ذلك إيحاء بإمكان مجيء ثورات جديدة. أقول بإمكان الثورة الليبية أن تحقق دورا تاريخيا رائدا في المنطقة لم تسبق إليه من قبل، وأنها بذلك تستطيع أن تحقق الاستقرار والكرامة لجموع هذا الشعب التي رحبت بها جميعا واحتضنتها بإعزاز كامل(*).

* * *

(*) صحيفة الثورة ٢٣ شعبان ١٣٨٩ هـ الموافق لـ ٤ نوفمبر ١٩٦٩ م.
النسخة المصورة عن الأصل لم تك واضحة في بعض الأسطر والعبارات، وعالجنا ذلك بحذف ما غمض أو وضعه في السياق العام لما قبله وبعده من عبارات. عدد الصحيفة موجود بمكتبة الكونجرس الأمريكي.

القصائد

أماه لا تجزعي

أمـــاه لا تجـــزعي فـــالحـــافظ الله
وهو الكفـــيل بما في الغـــيب أمـــاه
أمـــاه لا تجـــزعي فـــالحـــافظ الله
أنا سلكنا طريقـــا قـــد خـــبـــرناه
فى مـوكـب من دعـاة الحق نتـبـعـهم
على طريق الهـــدى أنا وجـــدناه

سيدة فاضلة تجاوزت الستين. ولكنها لتعلقها بفلذة كبدها الذى دفعته ظروفه لدراسة الهندسة فى مصر – أصرت أن تكون معه لتؤانسه وترعاه فتفيض عليه من حنانها ورعايتها – وفى ليلة كئيبة فوجئت برجال الأمن يقرعون الباب ويأخذون ابنها من بين يديها فى قضية سياسية مفتعلة حكم عليه بعد بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً... ورجعت بدونه تجر ثقل عمرها واثقالا من الحزن الغامر... إلى هذه الأم الفاضلة وإلى أمثالها من الأمهات الفضليات وإلى ابنها الصابر... عبد الله محمد أبوسعدة هذه الكلمات المتواضعة.

22 Collinghan Gardens - S.W.5. Londan 1967

على مناحيه يا أماه مرقدنا

ومن جماجمنا نرسى زواياه

ومن دماء الشهيد الحر نسفحها

على ضفافيه نسقي ما غرسناه

أماه لا تجزعي بل وأبسمي فرحا

فحزن قلبك ضعف لست أرضاه

أرضعتني بلبان العز في صغري

لا شيء من سطوة الطاغوت أخشاه

ثم أضاف إلى الأبيات السبعة السابقة بقية القصيدة عام ١٩٧٤

أماه لا تشعريهم أنهم غلبوا

أماه لا تسمعيهم منك أواه

أنا شمخنا على الطاغوت في شمم

نحن الرجال وهم يا أم أشباه

نذيقهم من سياق الصبر محنتهم

فلم يروا للذي يرجون معناه

أماه ذكراك في قلبي مسطرة

وفيض عطفك أحيا في ثناياه

ومـــر طيـــفك يا أمـــاه يؤنـسني
أنى وإن صـــفت القـضـــبـــان ألقـــاه
عـشت ركب الهـدى والنور يعـمـره
عـشت حـسنا عليـه الوحي أضـفـاه
عـشـقت مـوكب رسل الله فـانطلقت
روحي تحـــوم في آفـــاق دنيـــاه
لا راحـــة دون تحليق بمســاحـــتـهم
ولا هـنـاء لـقـلـبـي دون مـــــعـناه
أمـــاه ذلك دربي قـــد أمـــوت به
فـــلا يســوؤك كـــأس قـد شـــربناه
لا تجـزعي لفـتى إن مـات مـحـتـسـبـا
فـــالموت في الله أســمى مـــا تمناه
أمـــاه لا تجـــزعي فـــالحـــافظ الله
وهـو الوكـــيل لنا بـالغـــيب أمـــاه

* * *

هديتى إليك يا أماه

هديتى إليك يا أماه هذه القصيدة الصغيرة
غمستها فى أدمعى الغزيرة
نزفتها من قلبى الصبور
قد صغتها فى أحرف من نور
هديتى إليك بعد رحلة طويلة
مشاعر رقيقة نبيلة

* * *

هديتى إليك يا أماه هذه القصيدة
لأننى أبيت أن أرى مشاعرى وئيدة
أردت أن أصوغها فى أحرف من نور
لكنها مشاعر عنيدة
وجدتها تنفر أن تصاغ فى قصيدة
لا تعجبى من هذه المشاعر الرقيقة
لأنها تريد أن تعيش حرة سعيدة
تحوم فى آفاقها الطليقة

* * *

أماه يا أنشودة فى قلبى الصغير
أماه يا قصيدة تنساب فى لسانى
يا منبعا يفيض بالشوق وبالحنان
يا واحة تفوح بالطيب وبالعبير
يا ومضة النور الذى يشرف فى الديجور
يا مرفأ الأشواق يا أنشودة الشحرور
فى حبك القديس يا أماه فى حنايا قلبك الكبير
فى حضنك الدافئ وفى حنايا حجرك الطهور
غرست ألف زهرة
قرأت ألف عبرة
ولم أزل بعد فتى صغير

* * *

لا زلت يا أماه ذلك الفتى المدلل الصغير
أريد أن أشكو إليك سطوة الزمان
أريد أن أبثك الأحزان والأشجان
أنا هنا تحجزنى القضبان
تحجبنى عن وجهك الأسوار والجدران
لكم أحب يا أماه أن أراك

لكم أحب أن تضمنى يداك
أن أذرف الدموع فوق حجرك الطهور
وأن أبث لوعتى لقلبك الكبير

* * *

فإننى وإن أكن أبا يحنو على أطفاله الصغار
وإن أكن رحلت فى الآفاق كلها وخضت فى مجاهل البحار
وإن أكن قرأت آلافا من الأسفار
فلم أزل بعد فتى صغير
أحب أن تضمنى يداك
أن أذرف الدموع فوق حجرك الطهور
وأن أبث لوعتى لقلبك الكبير
فلا أزال ذلك الفتى المدلل الصغير

* * *

كلمات إلى زينب

منعت جـــفـــونك من رقـــاد زينـب
وشـجت فـؤادك فـهـو صب مـتـعب
واعـتـاد سـجنك طيـفـهـا يزداره
فـتـــراه فى ردهات ســجنك يلعب
أبنيـــتى لا تيـــأسى من عـــودتى
فـــأبوك فى ســـعى يجىء ويذهب
ســأعـــود يومـا والرجـاء يحـثنى
ولســـــوف تؤنسنى حنان وزينب
وألم قلب رفـــيـــقـــة مـــحـــزونة
قـــد هدها زمن شـــديد مـــتـــعب
حـرمت أنيس القلب بعـد وصـالهـا
ولـنـائـب الحـــــــــدثـان أم أو أب
لا تجـــــزعى إن مـس والدك الضـنى
سـبق القـضـاء به فـضـاق المهـرب
أيهـــز قلب الصـــقـــر فى أجـوائه
بوم يصـــــوت أو غـــــراب ينعب !

إنى لثـــمت تراب أرض حـــرة
إن ديس بالقـدم اللئـيـمـة يغـضب
أتعـز تربيـتـهـا ويقـهـر أهلهـا
هيـــهـــات يأبى أن يطال الكوكب
لهـفى على الرايات يخـرقـهـا القنا
يفـدى مـواكـبـهـا بخـيع يشـخب
يشـــفى غليل الحـــر حين ورودها
نفس يجـود بهـا وجـرح يتـعب
لا يصنع الأمـجـاد غـيـر مـلابس
للهـــول يصـــدع للأمـــور ويرأب
أو صـــابر لـلهـــول حين حلوله
حـــتى تزول خطوبه ويغـــيب
والحـر تفـجـأه الحـوادث إن أتت
فـيـخـوض لجـتـهـا ولا يتـهـيب
ويصـد شـرتهـا بأنف مـشـامخ
يسـمـو بصـاحـبـه ولا يتـتـرب
يأبى الـرغـــام وإن أريد لطـخـــه
شنعـــاء هب لهـــا فـــؤاد أغلب

أنـــى ربـيـــب مـكـــارم أورثـتـنـــى
شـمـمـا يتـيـه على العـدا لا يغلب
أنا لم أكن يومـا صنيـعـة سـيـد
يرمى إلى بـكـســـــرة فـــــأرحب
يكفى أباك لكى يعـــيش مكرمـــا
عـجـفـاء ثاغـيـة وتيس أجـرب
ونعـــيش فى قنن الجـــبـــال تظلنا
ويحـيطنا بالحـفظ قـفـر سـبـسب
فـإذا عـتى (القـبلى) بقـيظ لافح
وغلت مـــراجله وصـــر الجندب
فنســائم (البـحـرى) تجىء عليلة
ومناك فى القـيظ النسـيم الطيب
جـيـــراننا وحش الفـــلاة فـلا يرى
فـيـهـا سـوى سـبع يسـيح وثعلب
وهناك لا نخـشى سوى ذئب الغـضـا
يعـدو على تلك الشـيـاه فـينهب
والوحـش وحش لا يلام لبـطـشـــه
هو فى طبـيـــعـتـــه ويغـضب
فلقـد نعـيش هناك عـيـشـة هانئ
ولقـد يسـالمنا الشـجـاع المرعب

وإذا بـلـوت الآدمـى وجـــــــدتـه
أشــرى وأشــرس إذ يصــول ويغلب
هو يا بنيــتى فى حـقـيـقـة أمـره
نـاب يكشــر كى يعض ومــخلب
ألـقـى أبـاك ولا جـــــريـرة عـنـده
فى قــعـر مظلمــة يهـان ويضــرب
يا وحـشــة المسـجـون فى جـدرانهـا
يفنى دقـــائق يومـــه يتـــرقب
لا تعــجـبــوا من وحـشــة تعـتـاده
فـالأنس بالقـضـبـان أمـر يصـعب
مــرت ثمــانيــة وجـاءت عـشــرة
وأبوك فـى ظـلمـــــاته يـتـــقـلب
وطنـت كل الصــبــر فى مكث بهــا
أمــا إذا ذكــر الخــروج فــأشــعب
وبهــا ذكـرت (القـبـر) وهو يلفنى
وأنا بـه تحت الصـــفـــيح أغـــيب
فـــأنا هنـاك رهين مــا قـــدمـــتـــه
وأنا هـنـا أزن الأمـــور وأحـــسب
وبهــا تشف الروح فى ومــضــاتهـا
تجلو بنفـحـتـهـا النفـوس فـتطرب

هى عبـرة النفس الجموح تروضـها
وبهـا ترق منى الشـجى وتعـذب
وبهـا ترق العين بعـد جـمـودها
تسـخـو بدمـعـتـهـا ولا تتـهـيب
ولكم دعـوت الله دعـوة صـادق
وجـأرت أسـأل رحـمـة لا تحـجب
يا رب قـد ضـاق السـجين بسـجنه
ورحـاب فـضلك يا مـهـيـمن أرحب
أنى دعـوتك خـاشـعـا مـتـضـرعـا
ومـحـاجـرى بسـخين دمـعك تسكب
فـامنن ومكنى قـيـاد جـوارحي
حـتـى أسـوم بهـا رضـاك وأرغب
أنـت المؤمـل يـا كـريم فكـن لنـا
يا من إليك صـمـودنا والمهـرب
أبواب جـودك لم تزل مطروقـة
وقلوبنا فى لهـفـة تتـرقب
واخـجلتـا أدعـو وقلبى غـافل
والنفس من جـزع تجىء وتذهب
عـودتهـا رغـد الحـيـاة ولينهـا
فـالآن حين دعـوتهـا تتـهـيب

ولقـد حططت القـيـد عن أهوائهـا .

فـقـيـود ذلتـهـا أشـد وأصـعب

يا نفس حسبك ما لهوت وشمرى

عن ساعـد يسعى عليك فـيكسب

مـــا أنت والأهواء وهى مـــذمـــة

تذر الحليم مـــضـــيع يتـــذبذب

يا رب أنى قـــد أتيت مـــؤمـــلا

من فـيض فـضلك مـوردا لا ينضب

ولقـد مـددت إليك كـفـا ألحـفت

بسـؤال فـضلك خـفـيـة تترقب

لو قـدمت حـسن الفـعـال لأملت

حـــسن الجـــزاء لهـــا وتم المطلب

لكنهـا غـفلت فـجـاءت تبـتـغى

منك الرضـا وجـميل عـفوك أقـرب

والســجن عند رضـاك أهون مـحنة

ويهـــون أن نـلقى به ونـغـــيب

* * *

– زينب هى إحدى بنات الشاعر.

(*) عنبر رقم ٤ السجن المركزى، طرابلس، ١٧ أغسطس ١٩٧٣ .

العش والزهور والفصائل

لو تقـــــرئين رســـــائلى
قـــد كنت أبعث بالرســـائل
أو تلمـــــحين خـــــواطرى
لأضـــأت منهن المشـــاعل
لهـــفى على ضـــبى شـــرود
فـــــاتر الأوصـــــال ذابل
لهـــفى على الوجـــه الصـــبوح
على الغـــدائر والجـــدائل
لهـــفى على الخـــصر المهـــفهف
فى المجـــاســـد والغـــلائل
وعـــلى الحـــديث الحلو فى
خـــلواتنا عنـــد الأصـــائل
لهـــفى على العش الصـــغير
نصـــونه من كل غـــائل
عـــصـــفت به كلمـــاتهم
وعـــدت على العش الفـــصـــائل

(*) أبدع الشاعر هذه القصيدة فى عنبر رقم ٤ السجن المركزى طرابلس، أغسطس ١٩٧٣

خنقـــــوا الزهور ودمـــــروا
تلك الجـــــداول والمشـــــاتل
كـــــانوا حـــــمـــــات ربوعنا
فـــعـــدوا على تلك المعـــاقل
هجـــمـــوا على العش المحـــصن
بـالمـنـاجـل والمـعـــــــــاول
عـــادت حـــصـــون حـــمـــاك
مـــــــــرتـع كـل هـازلـة وهـازل
جـــــاست بـهـــــا الـذؤبان فى
وضـح الـنـهـــــــــار ولا مـنـازل
أنعى إليك رفـــيـــقـــتى
أحـــــلامنـا بين الخـــمـــائل
فلقـــد أفـــقت على صليل الـ
ـقـــيـــد يقـــتـــات المفـــاصل
وعلى الســـيـــاط تذيب كـل
مـــجـــاهد حلو الشـــمـــائل
وعلى وجـــوه أحـــبـــتى
مـــــا بين مكتـــئب وذاهل
فـــدعى مناك وشـــمـــرى
قـــد حـــال دون مناك حـــائل
ولتـــهـــجـــرى بحـــر الدمـــوع
فـــمـــــا وراء الدمع طائل

قطـــــوف

طال الســـهـــاد وغـــاب عنك المنطق
والنفس فى ضـــيق الحـــوادث تصـــدق
أرأيت لو رفـــأ الرقـــاد همـــومـــهـــا
هل كـــان جـــفنك من دمـــوع يشـــرق
فـــــأزل بدمـــــعك كل هم عـــــالق
هـد الـفـــــــــؤاد لما يـلـم ويـطـرق
الحـــمـــد لله والشكر الجـــمـــيل له
على الذى منّ من خـــيـــر وتوفـــيق
مـــرحى بنيـــة فى بيت جلبت له
هناءه بعـــد تشـــتـــيت وتفـــريق
إنى دعـــوتك (إيناســـا) ليـــؤنسنى
يومـا مـحـيـاك بعد القـهـر والضـيق
أحـاول قـول الشـعـر وهو يصـدنى
وهل يحسن الشعر السجين المكلب
وقـد قـيـدت شعرى قـيـود كـثـيـرة
ترى قلمى فـــيـــهـــا يخط ويشطب
قـيـود القـوافى قـاسـيـات ومـثلها
قـيـود المعـانى فـهى أقـسى وأصـعب

يـــا بـــــدر

يا بدر قـــد ناجـــتك أعـــينهم
ترعى جـــلال الموكب الســـارى
يا بدر رفـــقـــا إن أنفـــســـهم
قـــد هدها طغـــيـــان إعـــصـــار
نست خلف الصـــور وحـــشـــتـــهم
لم يمح نورك ســـور جـــبـــار
غـــدا تنيـــر طريق مـــوكـــبـــهم
حـــر يواكب جـــمع أحـــرار
يا بدر أنت أنيس وحـــشـــتـــهم
أجليت ظلمـــتـــهـــا بأنوار
وحى تهـــيم إليك هائئـــة
فى غـــمـــرة من وحى أفكارى
مـــشـــاعـــرى تشـــدوا مـــرددة
غـــمى وتصنع ســـحـــر أشـــعـــارى
نا لا أضـــيـــق بســـورهم أبدا
فلقـــد هدمت جـــمـــيع أســـوارى

(*) أغسطس ١٩٧٣ السجن المركزى طرابلس .

نفحة من ذوب القلب

حـــدثونى عن الهـــوى حـــدثونى
إننى قـد نسـيت سـحـر العـيـو
بعـــد العـــهـــد بالهـــوى وتناءت
داره عن فـــتى مـــضـــام ســـجي
زاده الذكـــــريات فى هدأة الليل
وهل غـــيـــره لصب حـــزين
كلمـــا شـــفـــه الضنا بات يشكو
مـــا يعـــانيـــه من هواه المكين
أيهـــا الليل قـــد منحـــتك ســـرى
أنت أهل لحـــفظ ســـر مـــصـــو
عـــدت فى ســـتـــرك المهـــيب أناجى
فـيك سـر الهـوى العـجـيب الدفي
شـــاركـــتنى النجـــوم بعض حـــديثى
فـــأنا ترجـــمـــان تلك الشـــجـــو
يا نجـــوم الســـمـــاء جـــئـــتك أســـعى
فـــارحـــمى لهـــفـــتى ولا تنكرين

لا تغـــــار فـــــإن قلبى نجم

فـــيـــه من نوره جـــلاء الظنون

فـــــإذا أظلم الزمـــــان تجلى

أفق نفـــسى بغـــيض نور مـــبين

فـــأنا فى رحـــابه مطمـــئن

هانئ الروح فى مـــلاذ حـــصين

أصـــدر النفس عن هواها وأعلو

نحـــو أفق الهـــدى الوضىء الأمين

هينات همـــوم عـــمـــر قـــصـــير

ينتـــــهى أمـــــره بنا للمنون

وهى مـــحـــدودة المدى رحلة الموت

وإن مـــد حـــبلهـــا فى السنين

ومـــضـــة أرقت لتنجـــو ويبـــقى

ألق النور مـــائلا للعـــيـــون

فـهنيـئـا لهـا وقـد خـالطتـهـا

ومـــضـــات من نور وحى مـــبين

ذلك ســـر الخلود قـــد عـــانقـــتـــه

وارتقت سلمـــا إلى التـــمكين

أفلتت ثقلة القـــيـــود وهبت
للقـــاء الحـــبـــيب فى كل حي
رحلة الشـوق خـصـتـهـا فى هيـام
ودعـــاء من شـــدوها يحـــدوني
راحـــــة الروح عنده ولـديهـــا
من جـمـال السناء ومـا يحـيـيني
فـــــأنـا اليـــــوم عـنـده أتغنى
فى ظلال من ســحــرها وعــيــو
نغم يطرد الهـــمـــوم ويســـرى
فـــيـــضـــه هادئا بدق اللحـــو
فى رحـاب الأشـواق ألقـيت رحلى
فـــأراح الـفـــؤاد ثـقـل الحنيـ
لم يعـد للهـيـام والضـيق مـعنى
فـــريـاض الرضى تحـــتـــوينى
يا همـوم الأحـزان دونك غـيـرى
فـسـهـام الردى تكسـرت دونى
إننى فى حـمـا العـقـيـدة والدين
وفى عـــهـــدة القـــوى المتين

(*) السجن المركزى طرابلس ١٦/٧/١٩٧٣.

الفتيـــة

يا فـتـيـــة نشـــر الزمـــان بهم
فـي درب أمـــــــتـنـا قـنـاديـلا
سـيـــروا على سنن الهـــدى أبدا
وتبـــتـلوا للحق تبـــتـــيـــلا
ولتـبـــعـثـــوا صـــورا لهـــا ألق
لـم يخل منهـــا دهرنا جـــيـــلا
مـــر أضـــاء النور ســـيـــرتهـــا
لـم ترض تغـــيـــيـــرا وتبـــديلا
لم ترهب الطغـــيـــان إن أثقلهـــا
ضـــربا وتشـــريدا وتقـــتـــيـــلا
بى مـــهـــدها فطمت وغـــر بهـــا
زادت سنـا فـــازدادوا تـنـكـيـــلا
كم ليلة مـــزجـــوا مـــدامـــعـــهم
بدمـــائهم حـــمـــدا وترتيـــلا

* * *

من منبع القـــرآن قـــد نهلوا
وبحكمـــه ولأمـــره صـــدعـــوا
فى فـيـــضـــة للروح غـايتـهـا
وبنوره فى الخـــيـــــر ترتفع
الصـــدق والإخـــلاص منهـــجـــهم
والزهد والإخـــبـــــات والودع
من قـــبلهم شـــرع الهـــداة لهم
سـبل الهـدى ولنعم مـا شـرعـوا
وجـدوا الطريق ممهـدا فـمـضـوا
فى نهـجـه الميـمـون وأتبـعـوا

* * *

يا فـتـيـــة هم خـيـــر أمـــتنا
ومـنـاهـا لـغـــــــد تـؤمـلـه
نشـــروا لواء الحق فـــوقـــهم
كـل أكب عـليـــــه يحـــــمله
شـــقـــوا به الآفـــاق فى ثـقـــة
ليـرى الهـدى من كـان يجـهله
فلتـــرفـــعـــوا علم الهـــدى أبدا
أنتم كـتـيـبـتـه ومـوئله

إن الجـــهـــاد سنام دعـــوتنا

لا شيء في الأعـــمـــال يفـــضله

تحت السـيـوف الحـمـر مـوكـبنا

حـــمل البنود وســـار أوله

رسم الطريق إلى العـــلا سلف

خـــبـــر الطريق ولا نـبـــدله

* * *

نور النبـــوة في ضـــمـــائرهم

عـرفـوا حـقـيـقـتـه فـمـا وهنوا

لم يثنهم عن عـــزمـــهم وطر

كـــــــلا ولا هـدتـهـم المحن

غـــرباء للإســـلام بيـعـــتـــهم

ورضى الإله لبـــيـــعـــهم ثمن

(*) عنبر رقم ٤ السجن المركزى طرابلس ٧ مايو ١٩٧٤ .

هذه القصيدة أصبحت ذائعة الصيت والشهرة، فقد لحنت وانشدت في بلدان عربية عدة، وأذيعت عبر بعض الفضائيات ملحنة، واقتبس بعض أبياتها أحد الفدائيين الفلسطينيين وضمنها وصيته التى سجلها قبل استشهاده ثم بثتها بعض الفضائيات العربية عام ٢٠٠٤م .

لم تخدع الأهواء موكبهم

كلا ولا غرهم الزمر

خلعوا علوج الظلم فى شمم

حذر الوعيد لمن لهم ركنو

الحق والإيمان وجهتهم

لم يثنهم ظلم ولا فتر

فبهم يضىء الكون فى غده

وبعزمهم سيحطم الوثن

الله - ليس سواه - غايتهم

وروائع القرآن والسنن

وهدى النبى ونور سيرته

فيما جلاه وسمته الحسن

* * *

خـــواطـــر

دمـــوعك والشـــوق والذكـــريات
ومـــحنة ليل شـــديد عـــصـــيب
وبحـــــة صـــــوت ذليل النداء
تلاشت بأفق الضـــيـــاء الرحـــيب
وخـفـقـة قلب كـسـيـر مـشـوق
عـــتـــا أمـــره عن دواء الطبـــيب
وآهة حب حـكـاهـا الـصـــــدى
فـوافـقت صـدى فى خـيـال الحـبـيب
عـــادت لقلبك ســـر الحـــيـــاة
وأجلت عن الأفق لون الشـــحـــوب
ومـــوعك والشـــوق عند الغـــروب
ولحن العـــذاب الرتيب الكئـــيب
وأنات شـــعب مـــهـــيض الجناح
يداوى جـــراحـــاته بالنحـــيب

وصـــورة فـــجـــر كـــشـــيف الظلال

بدا خلف أفق جـــريح خـــضـــيب

ووجـــه الطفـــولة فى لهـــوها

وسـمت الشـيـوخ الحـزين المهـيب

أضـــــاءت لـقـلبك آفـــــاقـــــه

وشـــــعت بـأنـوارها فـى الـدروب

عـــزفت بســـجنك لحن الرضى

وداومت شـــدوك كـــالعندليب

فـمـا أسكت القـيـد فـيك الغناء

ولـم تـبـك مـن هـول لـيـل رهـيـب

سكنت وقـــد أثقلتك القـــيـــود

وأخلدت للأنس بعـــد الهـــروب

وغنيب للســـجن بعـــد النفـــار

وأسـمـعـتـه شـدو لحن عـجـيب

وصـــيـــرت زنزانة القـــهـــر ربعـــا

يلفك فـى ثوب أنس قـــشـــيب

ســيـــزهر روض الحـيـــاة العـشـيب

وتســـعـــد بالزهر فـــوق الكثـيب

وتسطع شـــمس الرضى فى رياض

أضـــر بهـــا ليل كـــيـــد عـــصـــيب

وينفـــرج الســـجن بعـــد انغـــلاق

ويـــنـــزاح ظـــل الـــظـــلال المـــريـــب

هنالك خلف الجـــدار الكئـــيب

تبـــاشـــيـــر فـــجـــر منيـــر قـــريب

وأنفـــاس صـــبح وضىء الســـمـــات

وأنســـــام روح رخى الهـــبـــــوب

(*) عنبر رقم السجن المركزى طرابلس ١٧ / ٦ / ١٩٧٤ .

السجن أهون من تقبيل الأحذية

طغى بساحة عمرى واستبد بها
تتابع الهم فى سر وفى علن
وكنت أملت من دهرى مسالمة
فليلته إذا أراد الكيد أمهلنى
قد جاء يزرع دربى بالهموم فلا
أخطو على غير أشواك تمزقنى
أخى مصيبتنا فى (الشيخ) واحدة
وحظنا واحد فى ساحة المحن
سفحت دمعك لكن دمعتى حبست
فغض قلبى بها واستبد بى حزنى
لقد تمنيت أن الموت أمهله
أو أنه لرحاب الخلد شيعنى
وكنت أهنأ لو آنست وحشته
أو كنت واسيته فى حالة الخشن

مصيرنا كلنا للقبر يجمعنا

وكلنا تحتوينا لغة الكفن

أن نمنح السجن فى أفكارنا ثمنا

فما نرى لاكتساح الظلم من ثمن

والسجن أهون من تقبيل أحذية

ترى الأنوف بريح منتن عفن

والسجن أطهر من أرض يدنسها

نير الطغاة بأثقال من الدرن

* * *

---

* يقول الشاعر: (توفى عمى أمحمد عمر العزابى، وبعد عيد الأضحى توفى عمى سعيد أحمد النامى ولم اتمكن من حضور جنازتيهما بسبب الاعتقال، ولم تسمح إدارة المباحث بتسهيل الحضور رغم سماحها لغيرى).

هنا يشير الشاعر إلى فترة اعتقاله بالسجن المركزى بطرابلس ٧١/٧٤.

خواطـر فى الزنزانـة

خطوت هنا منذ عـــام مـــضى
أمـــامى ظلام وخلفى ضـــبـــاب
وصـــرت مـــفـــاتيح قـــفل رهيب
ورائى وأطـبـق ليـل الـعـــــذاب
وبت رفـــيق الجـــدار الكئـــيب
يحـــدثنى عن شـــريط الســـراب
يحـــدث عن ذكـــريات توالت
وولت يكفنهـــا الاكـــتـــئـــاب
مـــضـــغت أحـــاديث فكر رتيب
وعـشت الطفـولة بعـد الشـبـاب
وحـــومت آفـــاق عـــيش رضى
وطـوفـت أطراف كـل الـرحـــــاب
تركت الجـــدار وضـــيق الجـــدار
إلى ذكـــريات الحـــيـــاة العـــذاب

ودار الـزمـــــــــان بـزنـزانـتـى
ودرت بـفـكـرى عـلـى كـل بـاب
ومـرت شـهـور وجـاءت شـهـور
وأصـبـحت والعـيش قـفـر يبـاب
ومـا زلت أجـتـر نفـسى فنونا
وأدفن أحـلامـهـا فى التـراب
وذبت وجـفـت بعـينى الدمـوع
وذاب الحـديد وذاب الكتـاب
ولف عـمـار الحـيـاة الجـمـيل
(بزنزانة) القـهـر لون الخـراب

* * *

(*) السجن المركزى ٢٨ شعبان ١٣٩٤ هـ ١٥/٩/١٩٧٤.

دمـــــوع

بكيت لو أن الدمع عن وصلكم يسلى
وما كان دمع العين يسلى عن الوصل
أبرد عن قلبى أحـــاســـيس زفـــرة
تأجج من شوق إلى الصحب والأهل
لقد ذبت شوقا واستبد بى الجوى
وليس غريبا أن يذوب جوى مثلى
وكيف خلاص القلب من غل أسره
وقـــد أســـرته الحـــور بالأعين النجل
أســـيـــر أنا فى كل وجـــه ومـــسلك
فهل خبر الأسر المحبون من قبلى
وللســـجن والســـجـان بأس وصـــولة
على جسدى تعروه بالقهر والذل
أجـــــرع من كـــــأس المذلة مكرها
مـــــرارة آلام أشـــــد من القـــــتل

أرى كل يوم آية لا أحبها

وألبسها قسرا على مرجل يغلى

ومن عجب الأيام أن تقحم البرى

يد اللؤم آناف القناعسة البزل

تجلدت شأن الفحل هم فلم يجد

مساغا لما يرجو فكف على ذحل

وما نال نفس المرء من ذل حبسه

أشد من الأغلال فى الرسغ والرجل

ولو كان هما واحدا لاحتملته

ولكن ما ألقى يضيق عن الحمل

ولو كان هما أحاط بفرد

من الناس هانت دونه صور البذل

ولكنه شر أحاط بأمة

وأوقعها الرعيان فى حمأة الوحل

تؤم الردى قصدا ولا من يردها

وحارت أدلاء البداية بالسبل

فقد تركت رهن السباع وكيدها

تناهبها الذؤبان بالنهش والقتل

فـذلك مـا يشـجى الفـؤاد أذكـاره
ويشـغل أحـلامى ويسـهـرنى ليلي
ومـعـذرة يا (أم زينب) إن عنى
بغـيـرك فكرى حين تشـقين من أجلى
فمثلك من يحنو على القلب إن عتت
أعـاصـيـر تجـتث الجـذور من الأصـل
ومـثلك من يرعى المودة إن بغت
صـروف زمـان مـقـفـر ظاهر المحل
يفيء إليك القلب فى حـال ضـيـقـه
فـيـرتع فى روض ويأوى إلى ظل
ولـى أمـل فـى الله أن يـبـلـغ المـنـى
مـشـوق وأن يحظى الأحـبـة بالوصل
كـذلك شـأن المرء فى أمـر عـيـشـه
يبـيت على حـزن ويصـبـح فى سـهل
تسـاق إلى ليل من الخـسف مظلم
وتمضى مع الجـهـال فى غـيـبـة العـقل
وبات حـمـاة الحى بين مكبل
يعـانى أسـار القـيـد أو فـاقـد الحـول

يـا لـيـلـة العـيـد

حم القـضـاء وسـدت دونك الطرق
وغـص بالغـيـم فى أجـوائك الأفق
وبدد السـحب إعـصـار الهـمـوم فلم
يجـد عليك به طل ولا غـدق
كنا نؤمل فـجـرا مـشـرقـا غـده
فـقـد أطل كـئـيـبـا بعـده الشـفق
مـا كنت أحـسب أن الحـزن يغـمـرنا
وأننا بعـد طيب العـيش نفـتـرق
وأن دهـرا أمـنـا مـن حـوادثـه
جـاءت بوادره كـالسـيف يمتـشق
ذابت نعـال أحـبـائى ورفـقـتـهم
من الطواف وغـصت منـهم الطرق
طافـوا على كـعـبـة السلطان في أمل
ويممـوا بابه الموصـود واسـتـيـقـوا
وأدمنوا قـرع أبواب الرجـاء فـقـد
كلت أكـفـهم من طول مـا طرقـوا

ولا مـجـيـب فـمـا بالدار من أحـد
فـالظلم يعـمـرها والطيش والنزق
كنا نظن بهم خيـرا فـقـد حـبـسـوا
مـا نـرتجـيـه وهم بالشـر قـد سـبـقـوا
نفـسـى فـداء أحـبـاء فـقـد عـصـفت
بـهم وبى خلجـات كلهـا حـرق
أنا هنا رهن قـضـبـان تقـيـدنى
قلبى حـزين وجـفـنى غـائم شـرق
وهم على البـعـد فى قـيـد يكبلهم
من شـوقـهـم ودمـوع العين تأتلق
نذوب شـوقـا وحـزنا لا رجـاء لنا
إلا إلى الله يرفـوا بعض مـا فـتـقـوا
يا ليلة العـيـد كم أقـررت مـضطربا
لـكـن حـظ بـنـى الحـزن والأرق
أكـاد أبصـرهـم والدمع يطفـوا من
أجـفـانهم ودعـاء الحب يخـتنق
يا عـيـد يا فرحـة الأطفـال ما صنعت
أطفـالنا نحن والأقـفـال تنغلق
مـا كنت أحـسـب أن العـيـد يطرقنا
والقـيـد فى الرسغ والأبواب تصطفق

أنشودة الهـــزار

مـــثل الهـــزار على ربى النهـــر
نشـــدوا بأنغـــام من الســـحـــر
تحكى أقـــاصـــيـــصـــا ترددها
شـــأن النســـيم يهب فى الفـــجـــر
يا حـــسن مـــا تحكيـــه قـــصـــتنا
زفت تميس بحلة الشـــعـــــر
تروى حكايات الأولى حـــــملوا
راياتنا فى ســـاحـــة الفـــخـــر
فى كل مـــــيـــــدان لهم أثر
سلف مـــضى ونســـيـــر بالإثر
قل ســـــائلوا عنا خطى خطرت
تركت طريقـــا طيب النشـــــر
من كل منصلت مـــضى قـــدمـــا
رســـــمت خطاه منابت الزهر
نظراتهم كـــالفـــجـــر مـــشـــرقـــة
وتوقـــد العـــزمـــات كـــالجـــمـــر

مـــثل البـــدور وجـــوههم ولهم
عند الكريهـــة بســـمـــة البـــدر
هم حـيث مـا حلوا جلوا هـمـمـا
خـلـدت مـــــآثرها عـلى الدهـر
هم نفـحـــة الزمن الذى حـــضـــروا
هم رحـــمـــة فى العـــسـر واليـــسـر
هم غـــرة الإســـلام شـــرفـــهـــا
فـضل الجـهـاد ومـيـسم الطهـر
هم رحـــمـــة الرحـــمن أرسلهـــا
يحـــيى وجـــود الناس بالخـــيـــر
فـــحـــديثـــهم نغم يطيب به
ســـمـــر الأحـــبـــة عندمـــا يســـرى

* * *

شـــأن الهـــزار على ربا النـهـــر
أو كـــالنســـيم يلم بالبـــحـــر
أو كـــــالربيع بأرضنا مـــــلأت
أعـــبـــاقـــه الآفـــاق بالعطر

* * *

الـــوداع

يا بلادى لقــد ســفــحت دمــوعــا
فى التـــراب الطهـــور عند الوداع
طاف بى طائف من الشــوق أحــيــا
فى فـــؤادى ضـــراوة الالتـــيـــاع
أنت يا مـــوطنى عـــروس الجـــوارى
حـــفـــهـــا الموج هازئا بالقـــلاع
أنـــت ظـــبـــى - أتـــاح دهـــرك مـــنـــه
فـــرصـــة للذئاب - من غـــيـــر راعى
إن مـــا كـــان من ترابك مـــسك
طيب عـــرفـــه بكل البـــقـــاع
صـــار للجـــيـــفـــة بيـــتـــا
تتـلـوى بـه صـنـوف الأفـــــاعـى

* * *

قد مات كل شيء

قد جمد الحرف فلا ينطق فى فمى
وجمد الفكر وكل شيء
قد استحالت الحياة لوحة ميتة الأشباح
وغاب ذلك البريق من سمائها
وبحت الأصوات واختفت حشرجة الأنفاس
تشنجا يدى تقطعت أظافرى، وجفت المحبرة الحزينة
عيناى باتتا أبرد من زجاج
يداى صارتا لوحان من خشب
وكل شيء فى يدى يقطر حنظلا لكنه موات
لا طعم للحنظل يا حبيبتى لا لون للآلام فى يدى
لا شيء ذى بال هنا، لا شيء يا حبيبتى يا نفحة الصبا
فلترجعى لعشك البعيد
فإننى هنا أحيا بلا حياة
وعشنا الذى بنيته عاثت به الرياح
قد جمدت عيناى واستوى الضياء والظلام

ولن أصوغ من إشراق عينيك ملامح القصيدة الجديدة

فلم أعد أبصر فى عينيك أى شىء

حاشاك – أنت سر هذه الحياة – غير أن العيب فى عينى فلتعذرى

حبيبك المحطم المحزون

وابتعدى عنى فإن ما أعيشه يعدى، فلا تقتربى وابكى إذا ما شئت

يا حبيبتى وانتحبى قد مات كل شىء.

* * *

فى سجن الاستخبارات العسكرية

أفى كل حين حـــارس وقـــيـــود
وحـــال بألوان الهـــمـــوم جـديد
لعـمرك مـا ضـر الفـتى كـيـد كـائد
ســيـفنى ويبلى كـيـده ويبـيـد
ولله فـــينا علم غـــيب تنتـــهى
إليـــه وأحـــوال لهن حـــدود
تركت يا (نالوت) والقـيـد مـاثل
لعـينى وسـجن مـحكم وقـيـود
أقـــول الأمـــر فـــاثبـــتى
وأوصـيـهـا بالصـبـر ريث أعـود
بنـيك فـشـدى أزرهم وتحـملى
فـحـولك أسـد منهم وفـهـود
تقول وهل نقوى على الأمـر وحدنا
ونهنأ فى عـيش وأنت بعـيـد؟

أجـــازى أيام قـــضى الله أمـــرها
وهل لك من أمـــر الإله مـــحـــيـــد؟
أودعـــهم والقلب يفطر لوعـــة
وأخـــفـــيت دمعى إذ بنى شـــهـــود
يقول سعيد (*) لست أبغيك حارسا
ســأكـــفـــيك وحـــدى أمـــره وأقـــود
وقـــال أرى منك انبـــســـاطا وراحـــة
كـــأنك إذ تأتى الهـــمـــوم جليـــد

* * *

(*) هو سعيد الكسير سائق سيارة الشرطة التى أحضرتنى إلى طرابلس.
سجن الاستخبارات العسكرية، طرابلس، ٢٠/١/١٩٨٢ هذه التوضيحات للشاعر.

لـم تـمـت بلقيـس

يـا طيـــور النـغـم الحلو أفـــيـــقـى
واعـــزفـى من نـزف الجـرح العـمـيق
واعـــزفـى لـلمـــوت لحنا مـــشـــرقـــا
وأعـــيـــد الشـــدو فى هـمس رفـيق
وازرعـى صـــــوت عـــــزاء خـــافت
دافق الأنـغـــــام وردى الـنـشـــــوق
لـم تمـت بـلـقـــــــــيـس إلا لحـظـة
ثم عـادت فى اخـتـلاجـات الشـروق
أغلق البـــاب فـــقـــامت خلفـــه
ترقب المحنة من خلف الشـــقـــوق
أفلتت بلقـــيـس من أحـــزانهـــا
وحللنا نحن فى عـــمق ســـحـــيق
كلنا يبـــحث عن مـــعـــراجـــه
فى رصـــاصـــات عـــدو أو صـــديق

أيهـــا الشـــاعـــر إنى مـــرهق

وجـديد القـيـد يقـتـات عـروقى

لـم تعـــد لى أدمع أســـفـــحـــهـــا

لـم أعـــد أبـصـــر ألوان الشـــروق

وشـوشـات الشـعـر إن طافت هنا

بـددتهـا ضـجـة البـاب العـتـيق

ورؤى الأحـــلام أمـــا حـــومت

نفـرت من حـارس جـهـم صـفـيق

هذه همـــســـة قلب مـــوجع

ينزع الأنغـام من صـمت عـمـيق

خـــرجت بلقـيس من أغـلالهـا

وأنـا أرسف فـى قـــيـــد وثيـق

أيهـــا الشـــاعـــر هل تعـــرفنى

إننـى همس من اللحن العـــتـــيق

قـــد جلست اليـــوم فى زنزانتى

أنحت الأحـرف من قلب مـشـوق

وتجـــاوزت قـــيـــودى كلهـــا

لأناجى شـــاعـــر الحب الرقـــيق *

قـــد زرعت الحـــرف فى أوراقنا

من بخـــور الشـــرق فى لحن دفـــوق

ونشـــرت الشـــرق عطرا أبلهـــا

وخـــمـــورا من صـــبـــوح وغـــبـــوق

ترسم العـــيش نهـــودا بضـــة

ودعـــاء من لهـــيب وحـــريق

ورحلت الحـــرف دهرا فى رؤى

من ليـــال عـــبـــقـــريات البـــريق

أنت فى رحلة عـــمـــرى نقـــمـــة

تنحـــر الأمـــجـــاد فى ليل الفـــسـوق

تبـــدع الشـــعـــر ضـــيـــاعـــا ســـاحـــرا

وتبـــيع الحـــرف فى ســـوق الرقـــيق

فـــإذا هزك حـــزن غـــامـــر

جـــئت عـــمـــلاقـــا من المجـــد العـــريق

تنفض الأوهام عن أحـــــزاننا

وتحيل الجرح عقدا من عقيق

تبصر الدرب وقد تنعته

ثم تمض فى بنيـــات الطريق

أيها الشاعر هل تعذرنى

هدنى قيدى وأعيتنى طريقى

أقرأ الأيام حولى قصصا

من جروح وقروح وحريق

والليالى ملأت عينى رؤى

من ضياع وضلال ومروق

عرب الضاد أحالوا صوتها

هينمات من فحيح ونعيق

أرضعتهم حبها مشفقة

فاستباحوها وجادوا بالعقوق

من مليك ورئيس مستثله

وأمير ولواء وفريق

ورقـــصنا حـــولهم فى حـــذر

بين أســـتـــاذ وشـــيخ ورفـــيق

كلنا يحـــمل فى مـــديتـــه

شـــبح الموت إلى الجـــسم الدقـــيق

أيهـا الشـاعـر هل تسـمـعـهم

لعنة الأجـيـال فى شـعـر حـمـوق

إننى فى القـيـد أخـشى قلمى

فـارو عنى رقـيـة الـسـحـر العـريق

* * *

(*) يقصد نزار قبانى زوج بلقيس.

هذه القصيدة كتبها الشاعر الدكتور عمرو خليفة النامى فى ١٦ رمضان الموافق ٧ يوليو ١٩٨٢ فى معتقله بمدينة طرابلس (ليبيا).

وقال فى مقدمة مخطوطة القصيدة (بلغت القارئ السجين أصداء فجيعة بلقيس المراة وبلقيس الأمة فتجاوب بهذه الخلجات. لم تمت بلقيس) وبلقيس هى بلقيس الراوى زوجة الشاعر المعروف نزار قبانى قتلت بالسفارة العراقية فى بيروت أثناء الحرب الدائرة فى لبنان. وقد كانت بلقيس وهى عراقية بالسفارة عندما انفجرت بها أو بالقرب منها سيارة مفخخة فدمرت المبنى وكانت بلقيس واحدة من ضحايا ذلك الانفجار.

إلـــى ســـالـــم

الحب أكـبـــر يا أحـــبـــابى مـــعـــذرة
قـد جـئت ملء عـيـون الحب أعـتـذر
غنيت للحب حـــينا ثم ألجـــمنى
صـــوت من القـــهـــر جـبـــار له شـــرر
منذ استـقـر صـريف الحـقـد فى أذنى
وضج حـــولى عـواء مـــقـــفـــر أشـــر
تعـــاورتنى ذئاب البـــغض تنهـــشنى
أنيـــابهـــا الحـــمـــر لا تبـــقى ولا تذر
وكـــفنتنى عـــيـــون الثلج تخنقنى
رمـــوشـــهـــا وظلام الشـــؤم مـــعـــتكر
ألقى علـى رداء اليـــأس لأمـــتـــه
وضـــمنى منه ثوب كـــالح قـــذر
صـــاولتـــه وبماذا ؟ والهـــوان يرى
وثرت لكن قـــيـــدى كـــان ينتـــصـــر
غـمـات فى شـفـتى الفـجـر واندثرت
آثاره وامـــحت عن لونه الصـــور

ولم أعـد أعـزف اللحن الحنون ولم
يعـد لنغـمـتـه حس ولا وتـ
وقـد ألفت الكشيش المر يعصرنى
فى ظلمة القبو لا شمس ولا قـمـ
وسغت طعم دموعى علقما شرسا
يخوضها الشوق حينا ثم ينحسر (*)
ففارق الحب رحلى وانتحى خجلا
وقيدت خطوه الأشواك والحفـ
الحب أكبر يا أحباب معذرة
للحب، فالحب جد ليس ينحسـ
هذى بقية أيامى سأنشرها
... يزدهى فيها ويزدهـ
فالحب أكبر يا أحبابى معذرة
قد جئت ملأ عيون الحب أعتذ

(*) الشطر الأخير من البيت غير واضح فى المخطوطة فاضفت كلمة (ينحسر)

كتب الشاعر هذه القصيدة فى مركز شرطة المدينة بطرابلس، رمضان الموافق يوليو ١٩٨٢م.

«إلى سالم» ويقصد سالم قنان.

أندلسيات
يا دموع العين

ـدنى حـــزنى وغـــاضت أدمـــعى
فى ســجـــون البـــغى بين العـــسس
يـا دمـــــــــوع العين لا تمتـنـعى
إن فى الدمع شـــــفـــــاء الأنفس
يـا دمـــــــــوع العين لا تمتـنـعى
روحى عن قلب حـــــر مـــــوجع
ـددى الحـــــــــزن بـدمـع طـيـع
واندبى حظ الصـــــبـــــا والمرتع
نت فـــــيض للفـــــؤاد المتـــــرع
فـــانفـــحى الروح بتلك الأكـــؤس
يا مـا صـاغـتـه أحـلام الصـبـا
ورؤى العـــقل الحـــصـــيف الكيس

يا من قلبى خيوط نسجها

من منى الفكر الطليق المؤنـ

كلها ديست - ولم تحفل بها

قدم البغى - بخف دنـ

ضقت بالحبس الكئيب المقفل

ضقت بالليل البهيم الألي

ويصبح ذى اكتئاب مقبل

وبيوم من ضياع ممحـ

حيث نسقي فيه مر الحنظل

من يد الجند اللئيم الشرس

لست أنسى يوم جاءوا زمرا

كلهم يلبس وجها أغبر

ما ترى غير عزيز قهرا

أو فتى حرا بكى واستعبر

باع بالفلقة فيهم واشترى

كل جلف مستبد نحس

يا رفاق السجن لا تكتئبوا

لا يضير الحر ربع مجدب

إنه من بعـــد مـــحل يخـــصب

إنـه من بعـــــد ضـــــيق يرحب

وحـــــزين القلب يومـــــا يطرب

ويـــولـــى بـــؤس لـــيـــل نـــحـــس

مـــارأت عـــيناى جـــمـــعـــا مـــثلهم

لا ولا فـــــضـــــلا يدانى فـــــضلهم

ضل من جـــذ لجـــــهل حـــــبلهم

فـــتـــيـــة من كـــيس أو أكـــيس

مـــــا أنا يومـــــا بســـــال وصلهم

ســـلـــوة الـــنـــفـــس وأنـــس المجـــلـــس

* * *

القيد والقدر

لقـــد ضـــقت بالأحـــلام والفكر
وشـــجـــيت من هم ومن كـــد
لو تعلمـــون شـــجـــون قـــصـــتنا
كـــــبلتم الألحـــــان بالوتر
تلك الحـــيـــاة دروبهـــا عـــبـــر
ولقـــد نضـــيق لقـــسوة العـــبـــر
لا تســـألوا عنى وعن خـــبـــرى
فـــســـتـــصـــفح الأيام عن خـــبـــرى
إنى ألفت القـــيـــد أحـــمله
فى كل منطلق بلا ضـــجـــر
فـــالقـــيـــد فى أوطاننا قـــدر
عـــشنا نكابده على العـــصـــر
من حطم القـــيـــد القـــديم رام
قـــيـــدا جـــديدا غـــيـــر منكســـر

أو هدم الجـــدران شـــيـــدها

لنعـــيش رهن القـــيـــد والجـــدر

يا من يذيب القلب من كـــمـــد

يقـــتـــات من ألم ومن ســـهـــر

دع عنك حـــزن القلب فـــهـــو ردى

والحـــزن لا ينجـــيك من خطر

وانهج ســبـيلك غـــيـــر مكتـــرث

واهجـــر خطى المتـــردد الحـــذر

ظلمـات حـزنك إن طغت حـقـبـا

فـــســـتنجلى فى لمحـــة البـــصـــر

مـــا أنت إلا لمحـــة ومـــضت

ومـــضى الزمـــان بهـــا على الأثر

صنعت خطاك العـــمـــر من أمل

لتـــراه ملء الســـمع والنظر

استـبـعـدت عـينيك بهـجـتـه

فـتـشـاغلت بـبـراعـة الصـور

إذا عـــتى الإعـــصـــار واضطرمت

أحـــشـــاؤه بصـــواعق الشـــرر

فلتـــرتقب أنســـام مـــرحـــمـــة
تجـــــرى بـنـشـــــر طـيـب عـطـر
هـذا طـريق المجـــد تعـــرفـــه
قـــد مـــهـــدته مـــواكب الظفـــر
خـــفـــقـت بـه الـرايات زاهـيـــة
تهـــتـــز تحت العـــشـــيـــر الكدر
فـــوق النجـــيع الحـــر قـــد رفـــعت
وعل جـــمـــاجم فـــتـــيـــة صـــبـــر
فطريقـــهم ترى مـــعـــالمهـــا
آثار منتـــــصـــــر ومنكســـــر

* * *

من حديث الليل

الليل أشباح وأغوال
ومجازر شتى وأهوال
والفجر ولى لون روعته
فكان وجه مماله الآل
والناس كيف الناس وا لهفى
أودى بهم ذعر وإجفال
مرضى يدك وجودهم سقم
هيهات أن يشفيه إبلال
وأكفهم بدماء إخوتهم
مخضوبة والربع أطلال
وإلى الضياع هيبتهم
يرمى بهم خب وإرقال
والفجر أين الفجر وا لهفى
أردى ضياء الفجر دجال
قمنا نهلل عند مقدمه
فأغمنا ما كان إهلال

عـــشـــيت به أبـصـــار أمـــتنا
زمنا مـــضى ورعـــتـــه آمـــال
فـــإذا بـه قـــيـــد تـكـابـده
والـشـــــــر ألـوان وأشـكـال
يـا لـيـل طـال الـلـيـل فـى وطـنـى
والـلـيـل لـلآلام ســـــربـال
زمـر اللصـوص يقـال قـد ذهبـوا
لـكـنـهـم يـا لـيـل مـــــا زالـوا
جـــاســـوا خـــلال ربوعنا زمنا
وتـنـاهـبـــــوا كـل الـذى طـالـوا
ذهبـــوا ولـكن مـــا يزال لـهـم
فـى أرضـنـا يـا لـيـل أذيـال
يا ليل زل عنا فـــقـــد تعـــبت
من وحـشـة الظلمـات أطفـال
مـــاذا جنوا حـــتى تكفنهم
حلل الســـواد وهن أســـمـــال؟!

* * *

كـلـمـاتـك

كلماتك قنديل أخضر
ونداؤك صوت لا يقهر
وهتافك فجر تصحو فيه الأحلام وتزهر
نسجتها الآمال وغلفها زمن جبار مستهتر
وجلاها قلب يتفجر
عمر النور جوانبه، وطواه السجن فلم يظهر.

* * *

كلماتك أخبار الماضي، عبر بيضاء لا تنفد
وعزاء الحاضر تنفحه بعزيمة صبر تتوقد
ومنار لغد آت، منبع أحلام يتجدد
عبر وعزاء ومنار .. كلمات فجر يتفجر
كلماتك سيل لا يقهر
ومنارة قنديل أخضر

* * *

ستموت وتخلفك الأسطر

فالحرف هو الأثر الباقى ... وهو المرفأ والمعبر

نغم يتردد فى الآفاق ليشرق فى الأزل الأول

يمضى يتردد لا يفتر

يرتاد المجهول ويمضى للأبد الآبد لا يقفل ... والحرف نداء الأشواق

ند أو عنبر .. ينشر فى الآفاق شذى من نفحة آمال تسكر

وستبقى أثرا لا يمحى كلماتك فى تلك الأسطر

* * *

(*) عنون الشاعر لهذه القصيدة بجملة : (مقدمة كلماتك) وكانت الصفحة تحمل رقم ١٧ .

دمـــاء العـــذراء

من يعـــذر العـــذراء من دمـــهـــا
قـــد ســـال فى كـــرم على الصـــخـــر
فى مـــذبح الشـــرف الذى خـــذلت
مـــا زال مـــصـــبـــوغـــا مـــدى الدهر
تركت حـــديث شـــبـــالهـــا قـــصـــصـــا
تروى لكل صـــغـــيـــرة العـــمـــر

* * *

دمـــاء العـــذراء، أو كـــمـــا يعـــرفـــهـــا أهل نالوت (ادمى ان تاقيارت) عنوان أسطورة طريفة المغزى عميقة الدلالة، بالغة الأثر، تأخذ عين المتأمل من فوق صخرة صماء فى صدع من الجبل الممتد على الضفة الغربية لوادى (عين بانون) حيث يتجه جنوبا صوب (توده).

وفى قـمـة الجبل وعلى صـخـوره الصلدة كـانت تمتد نخلة سـحـوق ترتفع فى غـربة ووحـدة غـريبـتين وكـأنهـا شـاهد تلك الأسطورة قد ارتبطها الزمن لترويهـا للأجـيـال. وإلى ناحيـة منهـا ينتشر لون أحمر قان فى حمرة الدماء على تلك الصخرة الصماء، يتهام الناس إنها (دماء العذراء).

وفى مجرى وادى عين نالوت قد حفرت آبار عدة بين عميقة وأخرى قريبة كانت مرتاد عقائل البلدة في أيام الجمع، تحضر إحداهن ما اجتمع لها من ثياب وفرش وأغطية وغزل وصوف فتغسلها فى إحدى تلك الآبار، فلا ترى حواليها فى ذلك اليوم غير ما انتشر من تلك الفرش والأثواب، وما اجتمع من البنات والأمهات.

وفى حديث يتراوح بين الهمس الخافت، والرواية الظاهرة تتناقل تلك الجموع النسائية أسطورة الموقع فترويها الأمهات إلى الفتيات وتتحدث بها العذارى بينهن كل مرة فتسرى فى الجميع عبرة القصة عميقة مؤثرة، نافذة بالغة، وتستقر فى القلوب تلك الحقيقة الكبيرة وهى أن الشرف أغلى من الحياة وأن التفريط فى العرض عار لا ترفعه عن صاحبه السنون، وأن أهون ما يغسله عن من لحقه أن تزهق له الروح الغافلة ويسفح له الدم المصون.

ويستشهد الجميع بدم العذراء الماثل فى ناحية الجبل، قد انتشر على تلك الصخرة الصلدة الشامخة، وقد اصطبغ عليها أثرا لا يحبى .. !!!

ولا تحدد تلك الأسطورة هيئة ذلك الشاب الغيور ولا عمره، ولكن تسوقه جامد الأحاسيس عميق الفكرة، ماضى العزيمة، قد بيت فى نفسه أمرا ذا بال ومضى له فى صمت رهيب.

رابط الجأش طويل صمته

مطرق يعصره جرح عميق

ســـاقـــه الدهر ولم يحـــفل به
فى دروب مـــدلهـــمـــات تضـــيق
كلمـــا قلب فـــيـــهـــا فكره
دله الـفـكـر عـلـى نـفـس الـطـريق

* * *

يلبس من وجهه الناعم صفحة تخفى بحرا بعيد الغور تضطرب خلفه الأمواج على أقوى من سد ياجوج وماجوج، لا تكشف صفحته من غير المألوف فى عالم الناس، وفى حنايا قلبه ما يضطرم ويتأجج من مشاعر الغيرة والأسى والنقمة والضيق..

ن أســـرت نفـــســـه من أمـــرها
خطرة للفكر لم يتـــــبع هواها
و طفـــا ومـــضـــه شـــعـــور عـــابر
من أحـــاســـيس شـــجـــيـــات طواها
سفحة كـالصـخـر فى غلضـتـهـا
بل لقـد قـدت من الصـخـر رؤاها

لم تتردد العذراء فى الاستجابة لدعوة شقيقها إلى رحلة قصيرة فى مشارف القرية، ومضى ذلك القطار الصامت الصغير، هو أمامها وهى خلفه، هو ماض لأمر بيته، وعزم عليه فلا تحجزه عنه غير مسافة الطريق، وهى غافلة ساهية، تترسم خطى شقيقها الجلد فى هدوء حالم، وسارت وراءه، ودعاها إلى استراحة خفيفة

فى ناحيـة الجبل، وجلس وجلست إليـه، وشـربا من مـاء المزاد وارتويا، وأكلا من تمرات معهـما، وطلب إليها فى هدوء رفيق أ تفلى له رأسـه، فـأقبلت على ذلك فى حنان، وأخـذت رأسـه فـ حجرها تفليه شعرة شعرة تتبع هوام رأسه، وتمر على ذلك الرأس بتلك الأنامل الحانية الرقيقة..

ودعاها إلى مثل ما صنعته له، فاسلمت له رأسها بين يديه ورمت به فى حجره الدافئ، وتخللت أصابعه ذلك الفرع الفاحـ الأثيث، وفى لحظة مصـمـمة خـاطفـة انحنى بشـفـرته الحادة علـ رقـبـتـهـا الحـانيـة، وإذا بذلك الرأس يسـقط فى حـجـره، وإذا بتلك الحياة المليئة أنفاس لاهثة مقطعة ما لبثت أن هدأت إلى الأبد، وإذ ذلك الجسم الحى الدافئ المضطرب جثة هامدة باردة، وحول ذلك كله شـخب نجيع قانى على غير هدى يسبغ ما حوله، وارتسمـ لوحة منه على صخرة صلدة مقابلة لا تزال ماثلة حتى اليوم..

وشفى ذلك الفـتى غـيـضه، ودفعت العـذراء حـيـاتهـا ثمـ لحظة تغرير فاجرة من أحد الذئاب العادية. ومضى كل ذلك ليترك لنا أسطورة (دمـاء العـذراء) وفى ذلك الموقع المطل المسـتـعلن وجدت نواة إحدى الثمرات التى أكلها الشقيقان فى تلك الرحلـ مهـدا لهـا مدت منه جذورا فى ذلك التراب المعتصر بين الصخو ونبـتـت نخلة مـا زالت تمتـد فى عنان السـمـاء فوق قـمـة الجبل وظلت هناك ولم تسقط إلا منذ أعوام عندما سقطت قيم الحفاظ على العرض، والغيرة على الحرم.

* * *

يا سيدى عبيد

يا (سيدى عبيد) أحييك وأدعو
وأُحيّى الأموات ببنغازى وأُصلّى
فلقد قاد خطايَ الموت إليك ...
هل تقبل جثمانا أحمق ..؟

* * *

يا (سيدى عبيد)!..
الموت هدية بنغازى...
تهديك رجالا وجبالا ..!
تهديك معالم لا تنسى ...
تهديك أعزَّ الأحباب
قصدتكَ مواكبُ لا تُحصى
ورعتكَ عيونٌ لا تُحصى
تغدوكَ بحزنٍ لا يَخجل
ترويكَ بدمعٍ لا يَنفد
يغسلُ (سبختك) الحرة
فالموتُ بأرضِك ذو معنى

وكذاك الأموات...
قد جئتُ إليك بجثمانٍ أحمق
واتيتك أسألُ قبراً فى أرضك
هل تسمحُ .. حياك الله ..
وحيا أهلُ الدارِ المعمورة...
هل تسمحُ يا (سيدى عبيد)؟

* * *

حييت ربوعك بنغازى...
حييت أياديك الحلوة...
حييت (السبخة) والبحر...
وأحلام الآلاف المزروعة
حييت (السيلس) و(البركة)
وجناة (القعمول) بأرضك
وشفاه الأطفال المسودة...
حييت (السلمانى) و(الفندق)
وشواطئ (جليانة) و(المينا).

* * *

حييتك بنغازى بلدى،
بلدى، يا بلدى الحرة..

حييتك حييتك يا بلدى
بالقبلة والدمعة الحسرة..
فأنا لم أحضر سيفا .. لم أحضر قنبلة أخرى
لم أحضر آلة قتل، حبلا، أو (فلقة)...
قد جئت حزينًا كى أُدفن...
وأتيت المقبرة الحرة أستأذن...

* * *

القبر الدائم فى جالو أو غات ... أو سبها ...
القبر الدائم فى مصراتة .. أو هون .. أو زلة ..
القبر الدائم فى غريان، وفى الجوش .. وجادو ..
القبر الدائم فى الواحات ... وفى تاورغاء ...
القبر الدائم فى الخمس، وصبراتة،
فى المرج وتاجوراء
القبر الدائم فى كل تراب الوطن الأكبر ...
لكن ترابك بنغازى
غذى أحلامى ورعاها
وسماؤك قد نثرت فى الأفق
نجوم المجد المجلوة .. لأراها ...
وأرى فيها أملى ومناى...
فعلى أرضك من خطوى ومع الكتب الحلوة ...

والكراسات المحشورة ...
قد خطت قدمى قصة آمالى المهدورة ...
وأتيتك كى أدفن فى أرضك
أشلاء النفس المقهورة
هل تأذن بنغازى الحرة ..؟
هل تقبل جثمانا مهدورا أحمق ..؟

* * *

بنغازى تبقى لا تقهر...
بنغازى تعشق أنفاس الليل المخمور ...
وتحب أحاديث اللهو المكرور ...
لكن تبقى لا تقهر ...
ولترغم آناف العسكر ...
بنغازى أحييك وأبكى ...
وأجرّ بتربك جثمانى ..
فانا لم أحضر سيفا ..
لم أحضر قنبلة أخرى
لم أحضر آلة قتل، (حبلا) أو (فلقة) ...
قد جئت حزينا كى أدفن ...
وأتيت المقبرة الحرة أستأذن ..!

* * *

الكلب

لا تذكروه بم وصفتم فهو من أوفى البهائم
وانعوا على ما قادكم لمصيركم مثل السوائم
لا يقبل الكلب الإهانة فهو نباح مهاجم
أنا لم أر كلبا يسام الخسف ظلما وهو واجم
كلا ويأبى أن يباع ويشترى بيد المساوم
والكلب يرفض أن يبصبص بالرضى فى وجهه ظالم
هو قد يخون وقد يعض وقد يهاجم من يسالم
لكن ذلك فى غريزته اعتمادا للغرائم
يحتاط حتى لا ينال بما يحاذر وهو نائم
لا تنسبوا للكلب أفعالا تعد من الجرائم
فالكلب يرفض أن يداس وأن تحطمه القوائم
والكلب يأنف أن يعيش حياته مثل السوائم
قد كان أولى أن نعلق فى نواصينا التمائم

ونعيش شأن الغانيات تصون حوزتنا المحارم
ولقد تثور الغانيات على الأسارى وقد تخاصم
وقد تبدل سحنة الأنثى بجهم الوجه صارم
وتصول تحمى غيلها شأن الأشاوسة الضراغم
وإذا هتفت منددا قالوا رويدك أنت واهم
إن السياسة لا يزاولها جموح النفس ناقم
لكن من ينساب فى حذر بأنياب الأراقم
قد تطرق الحيات وهى تريد فى ذاك العظائم
ولكى تنال مرادها قد ترتدى ثوب المسالم
قلت الرجال تصونها عن خطة الغدر المكارم
خير من الغدر الصراحة فى شريعة من يصادم
قالوا رويدك ما تقول فإننا جمع مسالم
نحيا كما تحيا الكلاب وذلكم عيش ملائم
فالكلب قدوتنا فنحن وجنسه صرنا توائم
فأجبت لا تتسرعوا فالكلب توجعه الشتائم

* * *

يـا رسـول اللـه

عـلـوت فـلـيـس يـدركـك الـثـنـاء
فـــأنت النور يسطع والضـــيـــاء
وأنت الشـمس ليس لهـا حـجـاب
وأنـت البـــدر ليس به خـــفـــاء
وأنت المصطفى يجلوك فـــيض
مـن الأنـوار جـلـلـه الـسـنـاء
تبـــاه الأرض أن آوتك فـــخـــرا
وتغـبطهـا لموضـعك السـمـاء
أهم بمدح شـخـصك يا حـبـيـبـا
فـيـمنعنى جـلالك والبـهـاء
وحـــسبك مـدحـة قـرآن ربى
ومـا اجـتـمـعت عليـه الأنبـيـاء
رســـــول الله بذى بـيـــــان
فـلـيـس لمـا أكـــــابده عـنـاء
جـلالك مـعـجـز وأنا عـيى
وإن حـاولت يصـرفنى الحـيـاء

أحـــوم حـــول ذاك النور جـــهـــدى

فـــيـــبـــهـــرنى بروعـــتـــه الضـــيـــاء

فـــإن تأذن بفـــيض منك نـحـــوى

فـــأشـــرع فى مـــديحك مـــا أشـــاء

وأبـلـغ مـنـه من أرجـــــــو وتـأتى

روائع فـــيك يبـــدعـــهـــا الوفـــاء

ويظهـــر حـــسنهـــا حب وشـــوق

وتجلوها المهـــــابة والوضـــــاء

وينشـــر عطرها فى الكون حـــاد

له فى كل نـاحـــيـــــة دعـــــاء

بحـــبك يا حـــبـــيب الله يشـــدو

فـــتـــهـــتـــز الكواكب والســـمـــاء

وتنتـــفض البـــســـيطة فى هيـــام

وإجـــلال ويخـــتـــلج الفـــضـــاء

أتـأذن يـا رســـــــــول الله أنـى

ببـــاب الشـــوق يحـــدونى رجـــاء

أسلم هائبـــا وأعـــود صـــبـــا

وللأشـــواق بالروح انتـــشـــاء

تـأجـج لا يـكـف لـهـــــــا أوار

ونـار الشـوق يطفـئـهـا اللقـاء

ونـورك مـــائل لـلقـلـب أمـــا

دعـــا شـــوق وجـــد بـه النـداء

أتـأذن يـا رســـــــول الله أنـى

أضـــر بـى التـــوجع والبكـاء

وحـــيـــد ليس يؤنسنى رفـيق

ومـا جـهـدى وقـد حكم القـضـاء

أهيـم صـــبـــابة وأذوب شـــوقـــا

ومـدحك للمـحـبين الشـفـاء

فـإن تأذن بفـيض منك نحـوى

ومن كـــفـــيك يلتـــمس العطاء

أكـن من آل فـــــضلك لا أبـالى

أنـاخ علـى ضـــيق أو رجـــاء

يا رسول الله:

أهـل جـــــلال نـورك فـى ربـيـع

بمكة واسـتـفـاض بهـا الضـيـاء

فـقـرت عين شـيـبـة بعـد حـزن
لفـقـد أبيك إذ فـيك العـزاء
وأعلى من مـقـامك بين أهل
وأولاد فـكـان لـك الـعـلاء
وسـدت على بنى سـعـد رضـيـعـا
فـأنت لهم وقـد سـغـبـوا رخـاء
وبين بيـوتـهم وافـاك رهـط
من الأمـلاك لمسـتـهم شـفـاء
أزالوا عن فـؤادك كـل سـوء
وحل الـطـهـر قلبك والنقـاء
رجـعت لحـضن أمك بعـد حين
لتـؤنسـهـا فـمـا طال اللقـاء
رضـعت اليـتم غـضـا واسـتـمرت
عليك شـدائد فـيـهـا ابتـلاء
ولـم يـكـتـب لجـدك وهـو بـر
بشـخـصك كى يواسـيك البـقـاء
أراك الله فـيـهـم من قـريب
بأن العـيـش غـايتـه الـفناء

وكل للتـــــــراب وليس يغنى
لدى الموت المودة والفـــــــداء
قضى جـــد فـــقـــام عليك عم
حـــــفى فى مـــــبـــــرته الغناء
يحـــوطك ليـــقـــصـــر وهو أهل
لذاك الفـــضل وهو له كـــفـــاء
وكنت رفـيـقـه فى السعى حينا
وعـــونا حين أرهقـــه الشـــقـــاء
كـــفلت له (عليـــا) حين عـــضت
صـــروف العـــيش واشـــتـــد العناء
وكنت بهـــاشم برا وكـــانوا
بأمـــرك فى الشـــدائد أحـــفـــيـــاء
درجت بأرض مكة فى نـقـــــاء
ســـمـــا طهـــرا شـــبـــابك والفـــتـــاء
وخـــصك من خـــديجـــة كل خـــيـــر
غـنـاؤك والمودة والـرفـــــــــاء
تـرب بنـبـــــيك فى دأب وتـعنى
بـشـــــأنك حين وافـــــاك النداء

تلم بدارها فتعيش فيضا
من الأشواق ليس له انقضاء
ولم تأنس بقومك حين ضلوا
فآنسك التعبد والخلاء
تحن إلى الحقيقة فى هيام
ويشركك الهيام بها حراء
تبيت بخلوة فى الغار تدعو
وعند الله شوفك والدعاء
فعند الأربعين جلاك نور
من الرحمن وانكشف الغطاء
وفاض الوحى حولك واستفاضت
هدايتك وتم الاصطفاء
وكنت بشارة فى الوحى قبلا
فتمت واستقام بك البناء
وكان من النبوة فيض شوق
إليك ففزت وانتظم اللقاء
قرأت ولم تكن من قبل تدرى
كتابا خط حين أتى النداء

ولقنك الأمين الوحى صـــــرفـــا
لتـتلو مـا حـبـتك به السـمـاء
أتـيـت الـنـاس بـالـقـــــرآن نـورا
وفـى آيـاتـه لـهـم الـشـــــفـــاء
صـــدعت بـه فـــشـــاب إليك رهط
وكـــذبك الـطـغـــاة الأشـــقـــيـــاء
صـــبـــرت عـلى الذى عـــاداك منهم
وآزرك الـرجـــال الأصـــفـــيـــاء
فـمـا وهنوا ومـا ضـعـفـوا وكـانوا
أبـاة لا يـزعـــــزعـــــهـم بـلاء
وكـــنـــت لـهـم مـن الأهـوال ردءا
وعـنـد الله عـــــزمـك والمـضـــــاء
عـتـت عن أمـر خـالـقـهـا وصـدت
قـريش واسـتـبـد بـهـا الجـفـاء
وكنت على هدايتـهم حـريصـا
ولـج بـهـم عـنـاد وافـــــتـــــراء
مـضـيـت على سـبـيلك فى ثبـات
ولـم تـأبـه بمـا مـكـروا وجـــــاءوا

وإن يـك بـعـض أهـلـك ذو عـنـاد
فـفـيـهـم رأفـة ولـهـم ولاء
وكـنـت بـهـاشـم برا وكـانوا
بأمـرك فى الشـدائد أحـفـيـاء
فـمـا تركـوك رهن الشـعب نهـبـا
لقـومك واسـتـبـان لهم وفـاء
وأنت بـحـفـظ ربك فى أمـان
يحـوطك من عـنايتـه وقـاء
وعـام الحـزن جـاءك منه فـيض
من الرحـمـات ليس له انقـضـاء
فكـان لـلـيـلـة الإسـراء أنس
ومـعـارج بشـخـصك وارتقـاء
تعـاين من كـبـار الآى أمـرا
تضـيق بوصـفـه الصـحف الملاء
وزرت المسـجـد الأقـصى وصلى
وراءك فى حـمـاه الأنبـيـاء
وكـذب قـومك الآيات زورا
فـهـم قـوم جـفـاء أغـوياء

وتم هنـاك للصـــــديق قـــــول
تبـاركـه البـسـيطة والسـمـاء
أراد القـــوم قـــتلك ضل قـــوم
أرادوا قـــتل ســـيـــدهم وســـاءوا
حـرصت على الهـدى منهم وصـدوا
وكـــان البـــغى منهم والبـــذاء
فـشـاهت تلك أشـبـاح وضلت
أضـــر بهـا اللجـاجـة والعـداء
تتـيـه بذكـر هجـرتك القـوافى
فـفـيـهـا كـان فـوزك والنجـاء
تركت القـوم فى ســر وســارت
ركـاب الحق يسـتـرها الخـفـاء
وللأنصـــــار شـــوق وانتظار
لقـربك واحـتـفـال واخـتـفـاء
حللت بدارهم فـحللت ســهـلا
وطاب بهـا مـقـامك والثـواء
أطاقـوا حـول ركـبك من هيـام
وللقـــصـــواء من طرب رغـــاء

بأمـــر الله تم لهـــا مـــســـيـــر
وكـــان لهـــا لمســـجـــدك اهتـــداء
فـــعـــــز بنـصـــــرهم لله دين
وحـــق الحـــق وارتـــفـــع الـــنـــداء
وخـــاب البـــغى وانقلبت بخـــزى
عـــداتك واســـتـــتب لك الهناء
فـــحـــولك من جنود الله جـــمع
مـــهـــاجـــرة وأنصـــار ســـواء
هم النصـــر المؤزر ليس فـــيـــهم
نكوص حين يحـــتـــدم اللقـــاء
وذاك الجـــيش لا يثنيـــه وهن
ولا يلـهـــيـــه بيع أو شـــراء
شـهرت السـيف إذا أخرجت قـسرا
فـســالت تنصـــر الحق الدمـــاء
ومـــزق صـــولة الكفـــار بدر
وعـــــز الـدين وارتـفع الـلواء
وفـى أحـــــــد دروس بـيـنـات
نصـــرت به وكـــان بك الفـناء

ولم يفلح من الأحـــزاب كـــيـــد
فـــبـــاءوا بالهـــزيمة حين جـــاءوا
كـــان من اليـــهـــود عليك بغى
فـــتم القـــتل فـــيـــهم والجـــفـــاء
رمت الحج فـــاعـــتـــرضت قـــريش
وذاك بـهم عـنـاد واعـــتـــــداء
سجـاءت بيـعـة الرضـوان فـتـحـا
وتم الصلح إذ رجـــعـــوا وفـــاءوا
ســـــارت دعـــوة الإســـلام
لهـــا فى كل نـاحـــيـــة لواء
جـاء الفـتح فـانقـادت قـريش
وإن لهـــا رجـــوع واهتـــداء
سفـوت وكنت عند النصـر برا
هم الطلقـــاء ليس لهم فـــداء
جـــاءت الوفـــود مـــهنئـــات
لكل بعـــد بيـــعـــتـــه وفـــاء
ى الأفـــواج فـــوج بعـــد فـــوج
تتـــابع لا تصـــد ولا تســـاء

هنـاك تم دين الله حـــــقـــــا

وجـــاء النصـــر وانتظم البنا

وحج الناس بالتـوحـيـد صـرفـا

فـــلا جـــهل هناك ولا مكـ

وأعلى الله حـــجـــتـــه وســـارت

بهـــا الآيات نور يســـتـــضـــ

كـــتـــاب مـــحكم وبيـــان صـــدق

يبين الحق ليس به خـــــفـــــ

وســـار الدين تظهـــره جـــمـــوع

مظفـــرة ويظهـــره النقـــ

فـــذكـــرك يا نبى الله عـــال

يـــردده عـــلـــى الـكـون الـنـد

نبى الله قـــدرك فـــوق قـــولى

بما لا يســـتطاع له اجـــتـــلا

وشـــأنك لا يحـــيط به مـــقـــال

وهـذا النـزر لـيس بـه وفـــــ

بـــابك حـــوم الشـــعـــراء قـــبلى

فـجـئت ولى على الأثر اقـتـفـ

فإن أخفق فقد حاولت جهدى

وحسبى فى هواك الاقتداء

وإن أحسن ففضلك قد حبانى

وأنت البحر شيمتك السخاء

نبى الله إنى جئت أشكو

إليك وكل أنفاسى رجاء

نبى الله ضاقت هنا وإنى

ليرقنى بذا الحبس العناء

شكوت إليك من ضنك وضيق

لتغمرنى البشاشة والهناء

سول الله جئتك من بعيد

يرافقنى مديحك والثناء

بابك قد وضعت اليوم رجلى

وعندك راحتى وبك الشفاء

أمل فيك إفراجا سريعا

وفوزا لا يكدره شقاء

عونا عند ضيق الحشر يغنى

ويشملنى ودادك والحباء

سجودك غاية وندك فيض

سخى النبع ليس له انقضاء

نظرات فى أعمال النامى
وفى بعض مراسلاته

يعتبر عمرو خليفة النامى من الشخصيات الفكرية والأد
الموهوبة والمتميزة ويتضح ذلك من كتبه وهى قليلة، كما يتض
ذلك من مقالاته وقصائده وهى أيضا قليلة، أما محاضراته ف
الجامعة الليبية فى بنغازى وطرابلس فآثارها ظلت فى الأوسا
الطلابية وزملائه من الأساتذة المعاصرين له فى سنوات عس
بالجامعة وهى قصيرة جدا ولكنها كانت مدوية وذات أبع
إيجابية ... إن زمن عطائه الفكرى والأدبى كان قصيرا جدا فق
أنهى دراسته الجامعية عام ١٩٧١.

وقضى سنتين فى السجن المركزى بطرابلس ٩٧٣
و١٩٧٤م بتهمة الانتماء إلى تنظيم (الإخوان المسلمون) فى ليب
ثم سجن عام ١٩٨٢ ومنذ ذلك الوقت توقفت أعماله إلا بعد
القصائد التى كتبها فى المعتقلات وعرفت طريقها إلى د
الناس ... إذن فسنوات نشاطه الفكرى والثقافى والأدبى داخ
الجامعات وخارجها وداخل ليبيا وخارجها لا تتجاوز عش
سنوات، كان خلالها شخصية مثيرة للإعجاب خاصة فى الأوسا

الطلابية، وكانت أفكاره ومحاضراته وأسلوبه وشجاعته تشكل علامات فارقة أكسبته جاذبية خاصة وأعطته سمعة خاصة لم يتمتع بها غيره من أساتذة الجامعة، فى وقت اشتدت فيه سلطة المراقبة الأمنية واتضحت فيه سياسة الخوف من الأفكار والآراء المخالفة، أو التى تصنف أنها مخالفة لآراء وسياسات السلطة الحاكمة ... والسلطة الأمنية أحيانا تنطلق من أوهام وشكوك بالغة السوء والضرر تجعلها تقع فى أخطاء فادحة وتجعل المجتمع يخسر الكثير من الرجال المخلصين.

إن مقالات عمرو النامى وقصائده رغم قلتها تنم عن قدرات غير عادية، فهى تجسد طاقات عاطفية ووجدانية وإنسانية هى من خصائص الشعراء والأدباء الكبار. وجاءت بعض قصائده تعبيرا وتصويرا لتجارب عميقة الأغوار ولمعاناة شخصية وخاصة معاناة وتجارب السجون وما لاقاه من متاعب لا قبل لبشر بها ما بالك بأستاذ جامعى وبشاعر مثقف رقيق المشاعر والوجدان ... وبعض تلك القصائد عبرت عن مشاعر الأبوة وما تكنه من مودة وحنان إلى فلذات كبده من إناث وذكور بل إن البنات كن أكثر حظا فيما وجدنا من قصائده.

فى مقالاته الأدبية والتى انتقد فيها بعض الشعراء المحدثين وما أقدموا عليه من شعر فإن النامى لا يعتبره شعرا بل هو كلام يمكن أن يوصف بأى وصف إلا وصف الشعر، وبذلك تناوله من باب هزلى تهكمى، ولو واصل الكتابة النقدية طبقا لمناهج النقد

الأدب العربى كما درسه فى الجامعة وكما قرأ عنه فى كتب النقد العربى لكان أكبر أستاذ فى النقد العربى فى ليبيا، لأنه صاحب قلم أدبى تتلمذ على كتب مصطفى صادق الرافعى ومحمود عباس العقاد وسيد قطب ومحمود شاكر ومحمد محمد حسين كما كان يقرأ لكل الشعراء المحدثين أمثال نزار قبانى ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتى والسياب والشابى وأحمد رفيق المهدوى .. وغيرهم. وقبل كل هؤلاء كان قد درس الشعر الجاهلى وشعر العصور الإسلامية بحكم تخصصه فى دراسة اللغة العربية والأدب العربى فى كلية الآداب بالجامعة الليبية ١٩٥٨ – ١٩٦٢م.

وكان عمرو النامى يقرأ لكبار الأدباء والشعراء العالميين وما ترجم لهم من كتب سواء منهم من كان روسيا أو أوربيا أو أمريكيا أو هنديا من أمثال تولستوى ودوستوفسكى وشكسبير وهمنجواى وطاغور وغيرهم، وكان يدعو إلى قراءة كل شىء لمعرفة العالم الذى نعيش فيه. وأهله هذا النوع من القراءة إلى كسب معرفى متعدد المصادر جعله مدركا لثقافة العصر مع التمسك بأصوله الإسلامية واهتمامه بالأدب العربى...

أما أعماله الفكرية التى طبعت فأولها كتابه (ظاهرة النفاق فى إطار الموازين الإسلامية) وهذا الكتاب كتبه فى السجن المركزى بطرابلس أثناء اعتقاله مع مئات من المثقفين والطلبة إثر خطاب زواره الذى ألقاه العقيد معمر القذافى فى أبريل عام ١٩٧٣ وأعلن فيه ما أسماه بالثورة الثقافية. وطبع الكتاب بعد

خروجه من السجن بنحو سنتين وصدر عن الدار السلفية بالكويت ولم تذكر الدار سنة طباعته ويتكون الكتاب من سبعة فصول رتبها كالتالى :

المشكلة والنهج – أصل الاصطلاح – ابتداء ظاهرة النفاق فى المدينة – المظاهر العملية لتحركات المنافقين فى المدينة – ظاهرة النفاق فى إطار الموازين الإسلامية – الملامح العامة لظاهرة النفاق – أحكام المنافقين .

وبدأ الكتاب بتمهيد وأنهاه بخاتمة . والكتاب من الحجم المتوسط ويقع فى مئة وست وستين صفحة، ويبدو لى أنه تأثر بما شاهد من كثرة النفاق فى المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع الليبى، ورأى من تجاربه الشخصية فى إطار علاقات الناس بعضهم ببعض وفى إطار علاقات الحكام بالناس أو علاقات الناس بالحكام ما يقع فى دائرة النفاق، فوضع بحثا موضوعيا يمكن أن يقرأ فى أى زمان وفى أى مكان .

أما كتابه الثانى فهو البحث الذى نال به شهادة الدكتوراه من جامعة كمبريدج البريطانية وكان عنوانه حسب أول ترجمة حصلت عليها (دراسات عن الإباضية) وصاحب الترجمة ميخائيل خورى وراجعه الدكتور ماهر جرار وراجعه وعلق عليه كل من الدكتور محمد صالح ناصر والدكتور مصطفى صالح باجو . أما دار النشر فهى (دار الغرب الإسلامى) بيروت لصاحبها

الحبيب اللمسى وهو ناشر تونسى يهتم بنشر كتب التراث. وهذا البحث ربما كان أول بحث علمى حديث يقوم به باحث إباضى ليبى عن مذهبه ويتم إنجازه فى جامعة غربية عريقة هى جامعة كمبريدج. وتتبع عمرو النامى تاريخ المذهب من نشأته الأولى فى القرن الهجرى الأول إلى العصر الحديث وتتبع المراحل التى مر بها فقه المذهب على أيدى أئمة وفقهاء الإباضية وانتهى صاحب البحث إلى خلاصة تقول: (خلافا لما يعتقد بوجه عام لم يكن الإباضية فرعا من حركة الخوارج المعتدلة أو غير المعتدلة بل هم - عند النامى - يمثلون الروح النقية الاصيلة لدين الإسلام فى مواجهة التغيرات السياسية والاجتماعية بفعل التوسع السريع للإمبراطورية الإسلامية) وكان كثير من علماء ومشائخ المذهب الإباضى قد ذهبوا إلى أن الإباضية ليسوا من الخوارج ومنهم الشيخ على يحيى معمر فى كتابه (الإباضية فى موكب التاريخ) وفى هذا السياق قال الشيخ الطاهر الزاوى أحد علماء المذهب المالكى فى ليبيا (وهذا المذهب معدود من مذاهب المسلمين التى تعتمد فى أصولها على الكتاب والسنة ويتفق فى كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة ويستشهد الشيخ الطاهر بقول ابن حزم: إن أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضى الفزارى الكوفى أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى) .. (من كتاب تاريخ الفتح العربى فى ليبيا) للشيخ الطاهر الزاوى.

وقام عمرو النامى بتحقيق كتاب (قناطر الخيرات) للإمام

سماعيل الجيطالى وكتب له مقدمة طويلة وصف فيها أحوال
لامة الإسلامية وما تمر به من تشتت وفرق وضعف ودعا إلى العمل
ن أجل القوة والمجد الإسلامى انطلاقا من الإخلاص لله سبحانه
تعالى دينا ودنيا وكتب مقدمة أخرى لكتاب الشيخ سليمان
اوود بن يوسف (ثورة أبى يزيد) وأشاد فيه بالشيخ سليمان
اعتباره باحثا مرموقا فى التاريخ الإسلامى ومن الرجال العاملين فى
ـيدان الإصلاح فى دائرة العمل الإسلامى. وكانت للنامى
ـراسلات مع كبار علماء المذهب الإباضى المقيمين فى مزاب
الجزائر ومنهم: الإمام أبى اليقظان إبراهيم، الشيخ سليمان داوود
بن يوسف وكلاهما من منطقة مزاب بالجزائر والتى تعتبر من
عاقل المذهب الإباضى فى شمال أفريقيا، كما يبدو أنه راسل كلا
من الشيخ بيوض من مزاب أيضا والشيخ على يحيى معمر الأديب
والمربى والمؤرخ وهو من نالوت بليبيا ومن أهم كتبه (الإباضية فى
سوكب التاريخ. والإباضية بين الفرق الإسلامية) ويظهر من المادة
الموجودة فى ترجمة بحثه (دراسات عن الإباضية) المشار إليه
سابقا أن تلك المراسلات تمت أو تم بعضها أثناء إقامته فى بريطانيا
للدراسة وكلها تدور حول اهتمامه كمثقف وكاتب بأهل الفكر
والأدب، ويريد التواصل مع هؤلاء العلماء الذين يجمع بينهم
وبينه فقه المذهب الإباضى بصورة خاصة والفكر الإسلامى والأدب
العربى شعرا ونثرا بصورة عامة ... وأختم هذا الفصل بالإشارة إلى
المقدمة التى كتبها لكتابى (مواقف فكرية) وهو أول كتاب صدر

لى عام ١٩٧١ وكان عمرو النامى قد عاد لتوه من بريطانيا إلى أرض الوطن بعد أن أكمل دراسته العليا الجامعية .. وما سطره فى تلك المقدمة يعتبر جزءا من أعماله ومواقفه التى تستحق أن تكون بحثا علميا شاملا ينهض به أحد الدارسين فى الجامعات ليكون إضافة علمية فى سيرة أحد أعلام ليبيا الحديثة. وما قمت به من عمل ومن جمع لبعض أعماله ومن استعراض لسيرته ومواقفه ليس إلا سطور وفاء لرجل يستحق كلمة وفاء فى زمن قل فيه الرجال الصدق الشجعان.

ملاحظة: هذا المقال سبق أن نشرته فى كتابى (ملامح الصراع السياسى والثقافى فى ليبيا الحديثة) صدر فى ديسمبر عام ٢٠٠٠م.

* * *

هكذا تحدث هؤلاء عن عمرو النامى

من خصائص الدكتورعمرو خليفة سعيد النامى حظوة القبول الاجتماعى لدى الآخرين إضافة إلى خصائصه الأخرى التى ذكرتها فى هذا الكتاب، وأكرر هنا الكلام عن قدراته فى بناء علاقات إنسانية اجتماعية متميزة مع الآخرين لصلتها بهذا الفصل الجديد، وهو فصل خاص ببعض المراسلات والتعليقات التى وصلت إليَّ من بعض أصدقاء وأحباب عمرو النامى، فرأيت أن أضيفها إلى مادة الطبعة الثانية من كتابى هذا وهى أمثلة تدل دلالة واضحة على موقع وأهمية عمرو النامى لدى صفوة من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء والسياسيين من ليبيا وغيرها من البلدان العربية، ولا شك أن مادة الرسائل وما تعكسه من روابط وأبعاد تعتبر ثمرة مهمة من ثمار الجهد والسلوك والأخلاق التى كان يتحلى بها من تدور حوله أحاديث هؤلاء الرجال الذين عرفوا عمرو النامى إما معرفة شخصية مباشرة أو معرفة عن طريق أعماله ومواقفه ومراسلاته، وكلهم يضعونه فى منزلة عالية، ويتحدثون عنه بلغة الحب والمودة الصادقة الصافية والتثمين الأدبى العالى، ولعله من أهم علامات الخير والصلاح أن يحب الناس شخصا بعينه لا من أجل المال ولا بسبب السطوة والسلطان، ولكن لما هو عليه من فضائل أخلاقية وعلمية واجتماعية.

ومن هؤلاء الذين تحدثوا ودونوا أقوالهم عن شخصية عمرو النامى:

سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى المفتى العام لسلطنة عمان وهو أحد أعلام الأمة الإسلامية وأحد أبرز فقهاء المذهب الإباضى فى هذا العصر، وهو نائب رئيس اتحاد علماء المسلمين وله الكثير من المؤلفات فى التفسير والفقه والفتاوى والخطب والأحاديث الإذاعية والمرئية.

يقول فى إحدى رسائله لعمرو النامى:

بكل شرف واعتزاز تلقيت رسالتكم الكريمة التى أضافت إلى معلوماتنا السابقة عنكم معلومات جديدة عن نهضتكم الوثابة ونشاطكم الدائب فى خدمة المذهب والعناية بالتراث الإباضى الأصيل خدمة وتحقيقا لإبرازه بوجهه المشرق لرواد الحق وعشاق الحقيقة.

أما الدكتور عبد الله النفيسى المفكر الإسلامى، والأستاذ الجامعى، والبرلمانى الكويتى المعروف فقد نقل لنا موقفا كبيرا للأستاذ المرحوم مصطفى بعيو وهو من كبار أهل العلم والتربية والتعليم فى ليبيا فى العهد الملكى وهو كذلك من كبار رجال الدولة فى ذلك العهد.

يقول الدكتور النفيسى فى رسالة إلى عمرو:

آخر ما كان هو لقائى مع الدكتور مصطفى بعيو الذى

التقيته فى كابول الأفغان وسألته عن آخر أخبارك فشده ما فعلت وأثنى عليك كثيرا حتى دمعت عيناه وبح صوته وقال كلمة لن أنساها بحقك، قال: يجب أن تعرف يا عبد الله أننا الآن نتحدث عن خيرة الرجال فى ليبيا اليوم، لقد أحسست بفخر، وكأنه يتحدث عنى ياعزيزى ثق بان الدنيا بحذافيرها لا تساوى بعرة كبش إذا لم يعطها معنى رجال أمثالك.

وإلى الأستاذ عبد الحميد البكوش الشاعر والمحامى والسياسى، رئيس وزراء فى العهد الملكى. حيث عرفته أنا والنامى لأول مرة داخل قضبان السجن خلال عامى ١٩٧٣ و١٩٧٤ وكنا جميعا من سجناء الرأى والسياسة وكان الشعر هو أحد قنوات التواصل بيننا وخاصة فى أيام (الزنزانات) عن تلك المرحلة وعن تلك الأيام سجل عبد الحميد رأيه ومعزته لعمرو النامى قائلا:

لقد تعرفت على عمرو فى المعتقل، وكنت أقرأ مقالاته قبل ذلك وأعجب بما يكتبه، لكن عندما تعرفت عليه عن قرب وجدت فيه أخا ورأيت فيه النموذج الليبى والإنسانى الرائع الذى لا مثيل له ولم ألتق بمثله إلى اليوم.

ومن عمان والكويت وليبيا إلى الجزائر حيث يكثر أحباب وأصدقاء عمرو النامى وخاصة فى (مزاب) أحد مراكز المجتمع الإباضى والتراث الإباضى. من الجزائر يتحدث الدكتور محمد صالح ناصر عن عمرو النامى.

الدكتور محمد ناصر أديب وكاتب إسلامى له عشرات الكتب فى الأدب والتاريخ والفكر الإسلامى وهو الذى راجع مع الدكتور مصطفى باجو وقدم لكتاب (دراسات عن الإباضية) أطروحة الدكتوراه لعمرو النامى بعد أن ترجمت ونشرت بالعربية لأول مرة يقول الدكتور محمد ناصر:

قد ترك عمرو النامى فى ذاكرتى انطباعا ملؤه الإعجاب برصانته، وذكائه، واجتهاده، وتطلعه إلى المشاركة بقلمه فى الدرس والبحث فى مجال العلوم الإسلامية وعرفت فيه أيضا شاعرا حساسا، وتقديرا عظيما لتاريخ السلف، وشغفا واضحا بالتراث فكرا ورجالا.

لقد اطلعت على رسائل عدة تركها عمرو النامى لدى أحد أصدقائه فى الولايات المتحدة الأمريكية عندما كان مدرسا زائرا بها ١٩٧٧، وجميعها تفيض بالمودة والعلاقات الحميمه بينه وبين أصدقائه من شتى البلدان العربية، وربما تسمح الظروف يوما ما بنشر المزيد من الرسائل والوثائق التى تدون جوانب متعددة من حياة عمرو النامى وربما تكشف الأيام عن معلومات وأخبار لا نعلمها حتى الآن عن نشاطه الإسلامى والعلمى وعلاقاته الإنسانية التى اتسعت من أمريكا غربا إلى اليابان والفلبين شرقا.

يلاحظ أن جل الرسائل التى اطلعت عليها كانت تصله خلال وجوده فى الولايات المتحدة اى خلال ١٩٧٧، ١٩٧٨ على وجه التقريب.

موضوعات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
عمرو خليفة النامى سيرته، ثقافته ومواقفه	١٢
مقالاته:	
مهر الحضارة الغربية	٢٧
فصول من الجد الهازل توابع الزوابع.....	٣٥
فصول من الجد الهازل نواقيس وصلبان وأشياء أخرى	٤٣
رمز أم غمز فى القرآن (١)	٥١
رمز أو غمز فى القرآن (٢)	٦٢
كلمات للثورة	٦٩
قصائده:	
أماه لا تجزعى	٨٢
هديتى إليك يا أماه.....	٨٥
كلمات إلى زينب	٨٨
العش والزهور والفصائل	٩٤
قطوف	٩٦
يا بدر	٩٧
نفحة من ذوب القلب	٩٨

الموضـــــوع	الصفحة

الفتية ١٠١
خواطر ١٠٥
السجن أهون من تقبيل الأحذية ١٠٨
خواطر فى الزنزانة ١١٠
دموع ١١٢
يا ليلة العيد ١١٥
أنشودة الهزار ١١٧
الوداع ١١٩
قد مات كل شيء ١٢٠
فى سجن الاستخبارات العسكرية ١٢٢
لم تمت بلقيس ١٢٤
إلى سالم ١٢٩
أندلسيات ١٣١
القيد والقدر ١٣٤
من حديث الليل ١٣٧
كلماتك ١٣٩
دماء العذراء ١٤١
يا سيدى عبيد ١٤٥
الكلب ١٤٩
يا رسول الله ١٥١
نظرات فى أعمال النّامى ومراسلاته ١٦٤
هكذا تحدث هؤلاء عن عمرو النامى ١٧١
فهرس ١٧٥